الدلالات العقدية في حديث "سيد الاستغفار"

وأثرها على طمأنينة قلب المسلم

د. أحمد علي مصلح مزروع*

ملخص البحث:

يسلط، هذا البحث، الضوء على الدلالات العقدية في حديث سيد الاستغفار، وأثرها على طمأنينة قلب المسلم، وحديث سيد الاستغفار من جوامع الكلم التي أعطيها النبي ﷺ ومن الأدعية التي داوم عليها وأمر أمته بها، وقد اشتمل على دلالات عقدية متعلقة بجوانب التوحيد الثلاثة. ودلالات متعلقة بما يجب على العبد أن يسلكه، ويلهج به أمام الله ﷻ، ملتجئاً متوسلاً متوجهاً إليه -سبحانه وتعالى-، مع الاعتراف التام لله بما يحدث منه من تقصير وارتكاب للذنوب، وإظهار الندم على ذلك، وطلب المغفرة والتوبة من الله ﷻ. واستشعار المسلم لتلك الدلالات يزيده قوة في الإيمان الخالص بالله ﷻ بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فيعترف العبد بتقصيره، فيلجأ إلى الله تعالى؛ لعلمه بأنه هو الذي يقبل التوبة، ويغفر الذنوب جميعها، وبذلك يحصل عند العبد اليقين التام، فيزداد إيماناً، ويطمئن قلبه، ويكون محصناً من الشبهات والأفكار الهدامة.

---

* أستاذ العقيدة والفكر الإسلامي المساعد- رئيس قسم الدراسات الإسلامية –كلية التربية- جامعة ذمار- الجمهورية اليمنية.

ويرتكز هذا البحث على أفكار ثلاثة أساسية هي:

الفكرة الأولى: البحث عن الدلالات العقدية في حديث "سيد الاستغفار" وبيانها، الكلمة وتوضحيها، وما تدل عليه.

الفكرة الثانية: ضرورة النظر في دقائق التعبير النبوي، واستخلاصه، وبيان أسلوبه، ومعناه، وما يستفاد منه.

الفكرة الثالثة: أهمية إبراز الأثر المترتب على الإيمان التام واليقين الخالص بحديث النبي ﷺ "سيد الاستغفار".

وعلى هذه الأسس نشأ هذا البحث لإبراز الدلالات العقدية، وضرورة النظر فيها، وأهمية أثرها في حياة المسلم وآخرته.

Abstract

- InshaAllah, this research highlights the importance of the master of Estighfar hadeeth by identifying the doctrine significances of it and its effect on a Muslim's heart relieve.
- Master of Esteghfar Hadeeth is one of the speeches said by the prophet peace and prayers be upon him who kept saying it and ordered his followers to follow it as it carries a great virtue if practiced.
- In this hadeeth, there is an interpretation of the doctrine significances that belongs to the three aspects of monotheism. The significance is related to what a worshiper should follow and recite before Almighty Allah with supplication, resorting and confessing fully to Him about his dereliction and committing sins showing regret and asking for forgiveness and repentance from Allah.
- What a worshiper feels about the hadeeth of Esteghfar increases the strength of belief devoted to Allah's oneness of Lordship, Godship, Names, and Attributes and full confession.

- In confessing a dereliction by a worshiper, he resorts to Allah and know that He is the one who accepts repentance and forgives all sins.
- What takes place of a complete certainty on all the doctrine significances of the hadeeth, one gets more faith, reassurance at heart, and get protected from doubts and perverted destructive thoughts.

This research relies on the following three main ideas:

- **First idea**: searching for doctrine significances, clarifying and explaining them
- **Second idea**: the necessity of understanding the details of the prophetic expression, identifying it, interpreting its style and meaning and what can a Muslim gets from it.
- **Third idea**: the necessity of projecting the consequences of full faith and devoted certainty on the hadeeth of the prophet peace and prayers be upon him who was granted short rich expressions of speech "Master of Esteghfar"

Based on this, this research was conducted to project the doctrine significances, the necessity of understanding it, and importance of their effect on a Muslim's life and the hereafter.

المقدمة:

فإن مما يجب على الأمة الإسلامية معرفة أحاديث النبي ﷺ، بما فيها تلك الأحاديث الخاصة بالأذكار التي تعد حصناً للعبد المسلم وحاجزاً للشيطان من الاقتراب منه، والمساس به بأي أذي. ومن الأهمية بمكان أن تُدرس وتبحث تلك الأحاديث من جوانب شتى؛ لبيان مفرداتها وألفاظها ومعانيها ومدلولاتها وثمراتها وفوائدها؛ لكي تكون سهلة الفهم، ويكون ذلك أدعى إلى العمل بها في الواقع.

ومن أحاديث النبي ﷺ، التي تعد من جوامع الكلم، حديث "سيد الاستغفار"، وهو حديث يحوي عدداً من الدلالات العقدية التي له أثرها في حياة الفرد والمجتمع، رأيت أن أفرد لها بحثاً بعنوان (الدلالات العقدية في حديث " سيد الاستغفار" وأثرها على طمأنينة قلب المسلم).

أولاً:- أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تكمن أهمية الموضوع وأسباب اختياره في الأمور الآتية:

1- أهمية دراسة قضايا العقيدة الواردة في أحاديث النبي ﷺ كونها المصدر الثاني من مصادر تلقي العقيدة الصحيحة.
2- أن حديث "سيد الاستغفار" من جوامع الكلم النبوي، إذ احتوى على كثير من الأحكام والدلالات العقدية المتعلقة بأنواع التوحيد، وبما يجب على العبد مراعاته في علاقته مع الله تعالى، وأثر ذلك على نفسيته وسلوكه في الحياة.
3- أهمية المحافظة على الالتزام بالحديث؛ أخذاً بهدي النبي ﷺ في أذكار الصباح والمساء.
4- أن موضوع الاستغفار من الأهمية بمكان، و يجب أن يعتني به المسلم في حياته.
5- أن الالتجاء التام إلى الله عز وجل، واليقين به له أهمية في حياة المسلم.

ثانياً:- أهداف البحث:

1- إبراز مكنون جوامع الكلم من أحاديث النبي ﷺ ومن أهمها حديث "سيد الاستغفار"، وبيان فصاحة ألفاظه ومعانيها.
2- إظهار الدلالات العقدية الواردة في حديث "سيد الاستغفار"، واستخراج ما احتواه من العلم والفوائد والمعارف في منطوقها ومفهومها ولوازمها وإشاراتها، وبيان الحق فيها.
3- بيان فضل حديث "سيد الاستغفار" وثمراته للعبد المسلم في الدنيا والآخرة.
4- إبراز القاعدة المؤثرة في حركة العبد صلاحاً أو فساداً و المتمثلة في القلب الذي يشكل المركز الرئيسي في قضية العبودية.
5- بيان وجوب الاستعاذة من شر ما تجنيه نفس الإنسان وتحكيه.
6- بيان فوائد الدلالات العقدية في الحديث وأثرها على قلب المسلم طمأنينة وسكوناً.
7- بيان النعم وإضافتها كلها إلى موجدها ومسديها وهو الله وحده لا شريك له.

ثالثاً:- منهج البحث

يعتمد البحث على:

1- **الطريقة التحليلية الوصفية:** وذلك بعمل دراسة خاصة لحديث سيد الاستغفار من جانب عقدي، وبيان معانيه ودلالة ألفاظه، وتصنيف ذلك حسب خطة الموضوع وفقراته تناسباً وتنظيماً وتحديداً وتوضيحاً للدلالات العقدية فيه.

2- **المنهج الاستدلالي الاستنباطي:** وذلك لاستنباط المنهج النبوي وأساليبه في إثبات المسائل العقدية، ودلالات الحديث النبوي الشريف على ذلك، وبيان الأثر المترتب على ذلك في طمأنينة قلب المسلم.

رابعاً:- حدود البحث ومصطلحاته

أ- **حدود البحث:** حديث سيد الاستغفار.

ب- **مصطلحات البحث وكلماته الدالة:** (الدلالات - العقدية - حديث - سيد - الاستغفار - الأثر – طمأنينة القلب)

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث

لبحث الدلالات العقدية مصطلحات سيتم توضيحها في الفروع الآتية:

الفرع الأول: مفهوم الدلالات

أولاً: الدلالات لغة: جمع دلالة

– قال ابن فارس -رحمه الله-: الدال واللام أصلان: أحدهما: إبانة الشيء وأمارة تتعلمها، والأخرى: اضطراب في الشيء[1].

– وقال الجوهري -رحمه الله- الدلالة في اللغة مصدر دلّه على الطريق دلالةً ودُلولةً في معنى أرشده[2].

وقال ابن منظور –رحمه الله– دلَّه على الشيء يدله دلاً ودلالةً فاندل: سدده إليه، والدّليل: ما يستدل به، والدّليل: الدال، وقد دَله على الطريق يُدلهُ دَلالة ودِلالة ودُلولة والفتح أعلى، والدّليل والدلّيلي: الذي يدلك[3].

وقال الفيروز آبادي -رحمه الله-: ودله عليه دلالةً فانَدلّ: سَددَه إليه[4].

- وقال الراغب الأصفهاني -رحمه الله-: الدلالة: ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعاني، ودلالة الإشارات، والرموز، والكتابة، والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة الإنسان فيعلم أنه حيٌ، كما في قوله تعالى: (مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ). (سبأ:14).

وأصل الدلالة مصدر كالكتابة والأمارة، والدال: من حصل منه ذلك، والدليل: في المبالغة، كعالم وعليم، وقادر وقدير، ثم يسمى الدال والدليل دلالة، كتسمية الشيء باسم مصدره[5]. وقال رحمه الله: في الدلالة في الآيات القرآنية: "ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كلاماً كان أو غير كلام"[6].

- **وخلاصة القول:** إن معنى الدلالة في اللغة يشير إلى: "الإرشاد – الإبانة – التسديد – الأمارة – العلامة – ومعرفة الشيء بأي وسيلة سواء حسية أم معنوية – لفظية أم غير لفظية".

ثانياً: الدلالة في الاصطلاح هناك تعريفات كثيرة للدلالة، متنوعة في الألفاظ، متقاربة في المعنى، منها:

1- قال التهانوي -رحمه الله- في تعريف الدلالة: "أن يكون الشيء بحالة يلزم من العلم بها العلم بشيء آخر"[7].

2- قال الأصبهاني –رحمه الله– إن: "دلالة اللفظ عبارة عن كونه، بحيث إذا سُمع أو تُخيل لاحظت النفس معناه"[8].

3- قال الزركشي –رحمه الله- إن الدلالة: "هي كون اللفظ بحيث إذا أطلق فهم منه المعنى من كان عالماً بوضعه له"[(9)].

4- قال ابن النجار –رحمه الله– عنها: "هي كون الشيء يلزم من فهمه فهم شيء آخر، فالشيء الأول: هو الدال، والشيء الثاني: هو المدلول"[(10)].

5- وقال ابن حزم – رحمه الله – وغيره من الأصوليين في تعريف الدلالة: "إن الدلالة هي فعل الدليل"[(11)].

- وقد علل ابن حزم تعريفه للدلالة بهذا؛ لكون هذا التعريف " يعني ممارسة الدلالة، فيكون إنشاء النص وفهمه (في الدلالة اللفظية) مشمولاً بمفهوم الدلالة، وذلك أن المناطقة يشيرون إلى الدلالة إما باعتبارها وصفاً للفظ و إما وصفاً للسامع"[(12)].

- وبعد أن عرف الأصوليون الدلالة بأنها فعل الدليل، عرفوا الدليل بأنه:- المرشد إلى المطلوب، والموصل إلى المقصود، ولا فرق بين أن يحصل منه العلم أو غلبة الظن[(13)].

- وباعتبار ما ذكره التهانوي وغيره فإن الدلالة: "معنى منتزع من الدال والمدلول، وينشأ من العلم بالدال العلم بالمدلول"[(14)].

- وعرف بعض المعاصرين علم الدلالة بأنه: "العلم الذي يدرس المعنى، والبحث فيه بوجه عام"[(15)].

ونستخلص مما سبق: أن الدلالة في الاصطلاح الشرعي: "علم دراسة المعنى والألفاظ، واستخراج المسائل العقدية والحكم والأحكام الواردة في النص الشرعي".

الفرع الثاني: التعريف بالعقدية لغة واصطلاحاً:

أولاً:- مفهوم العقيدة لغة

مأخوذة من "العقد"، وهي مصدر "عقد" وتدور مادتها وما تصرف منها على عدة معان منها:

1- التوكيد: قال الله تعالى: (وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا). أي بعد عقدها وتوثيقها.

2- الشد والربط المحكم: تقول: فلان عقد طرفي الحبل؛ أي أوصل أحدهما بالآخر بعقدة تمسكهما فأحكم وصلها.

3- الملازمة: لما ورد في حديث ابن عمر -رضي الله عنهما-: "الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة" [16].

أي: أن الخير ملازم لها، كأنه معقود فيها؛ وذلك لاستخدامها في الجهاد في سبيل الله.

4- القرب: تقول: فلان مني "معقد الإزار" أي: قريب المنزلة عندي.

5- إبرام الشيء وإحكامه: ومنه قوله تعالى: (وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ).

6- ومنه الثبات، والاستحكام، والوجوب، والصلابة[17].

ثانياً:- مفهوم العقيدة اصطلاحاً

1- العقيدة في الاصطلاح العام: "تطلق على الإيمان القطعي الجازم الذي لا يتطرق إليه شك ولا ريب عند معتقده، أيا كان ذلك الاعتقاد حقاً كان أم باطلاً، وسميت عقيدة لأن الإنسان يعقد عليها قلبه".

وقيل هي: "الأمور التي تصدق بها النفوس، وتطمئن إليها القلوب، وتكون يقيناً عند أصحابها لا يمازجها ولا يخالطها شك"[18].

2- العقيدة في الاصطلاح الخاص (العقيدة الإسلامية): "العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية، أي: العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من أدلتها اليقينية"[19].

والمراد بالعقائد الدينية: العقائد المنسوبة إلى دين نبينا محمد ﷺ، سواء توقفت على الشرع كالسمعيات أم لا، وسواء كانت من الدين في الواقع ككلام أهل الحق، أم لا، ككلام المخالف، واعتُبر في أدلتها اليقين؛ لأنه لا عبرة بالظن، وتكون مستمدة من الكتاب والسنة والإجماع والنظر الصحيح"[20].

وقيل: هي مجموعة من قضايا الحق البديهية المسلمة بالعقل والسمع والفطرة، ويعقد عليها الإنسان قلبه، ويُثنى عليها صدره، جازماً بصحتها، قاطعاً بوجودها وثُبوتها، لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبداً"[(21)].

وقيل هي: "الإيمان الجازم بأصول الإيمان الستة، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره، وأركان التوحيد، والكرامات والمعجزات، والأخبار القطعية، وما أجمع عليه السلف الصالح من مسائل الإيمان والكفر، مع التسليم الكامل لله سبحانه وتعالى في مسائل التشريع والأحكام كلها، ولرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم والاتباع".

الفرع الثالث: التعريف بحديث "سيد الاستغفار" لغة واصطلاحاً

أولاً: الحديث لغة هو الجديد من الشيء وجمعه أحاديث، وهو الكلام الذي يتم الحديث به، ونقله بالصورة والكتابة أيضاً، وله مسميات عدة، منها الخبر الذي يقصد به النبأ، وهو الأثر أو بقية الشيء.

ثانياً: الحديث في الاصطلاح الشرعي

"هو كل ما نسب إلى النبي ﷺ من قول أو عمل أو تقرير أو وصف"، وقد اتفق جمهور العلماء على أن الحديث أو الخبر هو: ما روي عن الرسول ﷺ، وأما الأثر فهو ما روي عن الصحابة والتابعين"[(22)].

ثالثاً: المقصود بسيد الاستغفار

أ- السيد هو: من له السؤدد والعلو المطلق والمكانة الرفيعة المطلقة حسياً ومعنوياً، وهذا خاص بالله ﷻ.

ويطلق، ويراد به: ذو الشرف والمكانة العالية، والسيد في الاصطلاح ما فضل على غيره.

وفي هذا الموضوع يقصد بسيد الاستغفار: ما فُضل على غيره من الأدعية المأثورة والابتهالات، لاشتماله على معاني الاستغفار والتوبة، ولأن صيغة: "سيد الاستغفار" المذكورة في الحديث هي أفضل صيغ الاستغفار وأكملُها.

ب- الاستغفار لغة: مشتق من الفعل استغفر يستغفر، وفعلها الثلاثي الأصلي هو "غَفَرَ" أي بمعنى غطى وستر[23].

والاستغفار في الاصطلاح الشرعي: "طلب المغفرة وسؤالها، ورجاء ستر الذنوب التي يقترفها العبد والتجاوز عنها من الله عز وجل"[24].

وعُرف بأنه: "طلب العفو من الله تعالى عَمَا اقترف العبد من ذنوبٍ وآثام"[25]، والمقصود بحديث "سيد الاستغفار": هو دعاء قاله رسول الله ﷺ ولفظه: **"عن شداد بن أوس – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ أنه قال: "سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت" يقول النبي ﷺ: " من قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو مؤمن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة"** [26]

جاء في بعض الروايات: "دخل الجنة"[27]، وجاء في رواية أخرى "إلا وجبت له الجنة"[28].فيقال هذا الدعاء في الصباح وفي المساء؛ ولهذا عد أهل العلم هذا الحديث من عمل اليوم والليلة أي من أذكار الصباح والمساء، فيقوله العبد إذا أصبح وإذا أمسى، ومن قال هذا ومات من يومه قبل أن يمسي دخل الجنة، ومن قال هذا ومات من ليلته قبل أن يصبح دخل الجنة، ووجبت له. وهذا ما يرجوه العبد بعد موته. وسبب التسمية بسيد الاستغفار هو: ما ذكره الرسول ﷺ في هذا الدعاء من ألفاظ ومعان، إذ إنه يحتوي على صيغ لغوية تحتوى على أعلى مستويات سؤال الغفران من الله -عز وجل-، كما أنه قد جمع بين معاني الاستغفار والتوبة معاً حسب تفسير كثير من علماء الفقه والدين، لذا استحق أن يكون دعاءً سيداً على باقي الأدعية المأثورة والابتهالات إلى الله -عز وجل-.

الفرع الرابع: التعريف بالأثر والطمأنينة

من أكبر النعم التي أنعم الله بها على المؤمنين المحبين له، المتمسكين بكتابه، المتبعين لهدي نبيه محمد ﷺ هي: طمأنينة القلوب، وانشراح الصدور، وذلك بعد قيامهم بالأعمال الصالحة الخالصة لوجهه الكريم، ومن ذلك الاستقامة على طاعته بالدعاء الخالص من شوائب الشك وغيرها، وسنبين مقصود الأثر والطمأنينة فيما يأتي:

أولاً: المقصود بالأثر

الأثر: يأتي في اللغة بمعنى: النتيجة، وهو الحاصل من الشيء، ويكون –أيضاً- بمعنى العلامة. والآثار في الاصطلاح: هي اللوازم المعللة بالشيء[29]، أو جملة الأمور التي تنتج عن الشيء المسبب لها.

وهو أيضاً: عبارة عما ينتج من طمأنينة في القلب بسبب ما يتلفظه العبد أو يعمله أو يعتقده.

ثانياً: المقصود بالطمأنينة

معنى الطمأنينة: هي سكون القلب إلى الشيء واستئناسه به، وعدم اضطرابه وقلقه. وهو أمر يجده المؤمن في قلبه إذا استقر فيه الإيمان واليقين، فيذوق من حلاوتهما ما يطمئن به فؤاده، ويدفع شكوكه وأوهامه.

وبعد هذا كان لزاماً توضيح التعريف الإجرائي لعنوان البحث، وهو: (المعاني العقدية الواردة في حديث "سيد الاستغفار" وما ينتج عن الإيمان بها من سكون القلب ويقينه واستقامة سلوك الفرد والمجتمع تبعاً لذلك).

المطلب الثاني: الدلالات العقدية في حديث سيد الاستغفار

دلت النصوص الشرعية على أن المعاصي تُحدث أثراً عظيماً في القلب، ينتج عنه بُعد العاصي عن الله -عز وجل– ويغطي الران على القلب فيظلم، وتضعف بصيرته كما تزداد فيه مادة الشر، وتتوجه الإرادات إليه، وبذلك تهد الأسوار المنيعة التي كانت تحوط القلب، وتحصنه

من مخططات ووساوس شياطين الإنس والجن، بل إنه يصبح مقبلاً عليها طالبا لها، بقدر ما فيه من الشر والظلمة.

ومن أعظم أسباب تكفير الذنوب، وتطهير القلوب توحيد الله -عز وجل- ويتحقق ذلك بالتخلي عن أدران الشرك والإلحاد، ثم التحلي بكلمة التوحيد الخالص. قال الله تعالى:(فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(البقرة:256). **قال ابن رجب – رحمه الله-:** "من أسباب المغفرة التوحيد، وهو السبب الأعظم، فمن فقده فقد المغفرة، ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة.. فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله فيه وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند الموت، أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها، ومنعه من دخول النار بالكلية، فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه أخرج منه كل ما سوى الله، محبةً وتعظيماً وإجلالاً ومهابةً وخشيةً ورجاءً وتوكلاً، وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها، ولو كانت مثل زبد البحر، وربما قلبتها حسنات..."[30].

وفي هذا دلالة واضحة على أنّه لا حظ لغير الموحد في رحمة الله –عز وجل- الموجبة لمغفرة الذنوب، والنجاة من العذاب ودخول الجنة؛ لأن الشرك يعمل عملاً يتضاد عمل التوحيد، فالتوحيد يكفر السيئات، والشرك يحبط الحسنات. قال الله تعالى: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ). (الزمر:65). فالتوحيد هو الشرط الأساسي لانتفاع العبد بأعماله الصالحة في مجال تكفير الذنوب وغيره، والتوسل به هو أبرك التوسلات النافعة في حصول المغفرة واستجابة الدعاء، لذلك توسل به ذو النون –عليه السلام- وهو في تلك الشدة الرهيبة، كما أخبرنا الله تعالى بقوله: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنْ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)). (الأنبياء 87، 88).

ومن أجل ذلك كان أفضل صيغ الاستغفار مشتملاً على الإقرار بالتوحيد بأقسامه الثلاثة، كما في دعاء سيد الاستغفار، وبيان ذلك في الفروع الآتية:

الفرع الأول: إثبات توحيد الربوبية

إثبات توحيد الربوبية في الحديث واضح في قوله ﷺ: "اللهم أنت ربي،لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك"، فمن أجل إثبات الربوبية لله عزوجل يبدأ العبد بالمناجاة لله بقوله: "اللهم أنت ربي...."، وكلمة الرب في لغة العرب تطلق على عدة معان:

قال ابن منظور – رحمه الله -:"الرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيم، والمنعم" وقال: "ولا يطلق غير مضاف إلا على الله –عزوجل- وإذا أطلق على غيره أضيف، فقيل "رب كذا". وقال: "وقد جاء في الشعر مطلقاً على غير الله تعالى وليس بالكثير، ولم يذكر في غير الشعر". وقال: " ورب كل شيء: مالكه ومستحقه، وقيل صاحبه. ويقال: " فلان رب هذا الشيء أي مِلكُه له". وكل من ملك شيئاً فهو ربه، يقال: هو ربُ الدابة، وربُ الدار، وفلان ربُ البيت، وهن ربات الحجال".

أما الرب اصطلاحاً، من حيث إنه اسم من أسماء الله فمعناه: من له الخلق والأمر والملك، قال الله تعالى: (لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ). (الأعراف:54). وقال تعالى: (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ). (فاطر: 13).

وقال: "الرب: هو الله –عزوجل– هو رب كل شيء، أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك"[31].

وتوحيد الربوبية يعني: إفراد الله عزوجل بأفعاله كالخلق والملك والتدبير والإحياء والإماتة. فربوبيته –سبحانه– شاملة، فلا رب سواه ولا متصرف في الكون ولا مدبر شؤونه سواه، فعدم الالتفات إلى غيره، واليأس من جميع الخلق، وقطع الطمع في حصول النفع أو دفع الضر منهم هو أساس الاعتراف بربوبيته سبحانه وتعالى. ولذا قال ﷺ لعبد الله بن عباس –رضي الله عنهما-: "واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك ما نفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"[32].

والسر في ذلك أن من كمل اعتقاده بأن كل ما يرجوه من خير في الدنيا والآخرة هو بيد الله وحده، وكل ما يخافه من شر في الدنيا والآخرة فلا يقع إلا بأمر الله وحده، فإنه عندئذ يكمل تعلق قلبه بربه، ويتوكل عليه، ولا يقصد إلا إياه بالسؤال والاستعانة وسائر العبادات. وإذا كانت

البداية بذكر التوحيد قبل طلب المغفرة، وإذا اعترف العبد بذنبه وطلب المغفرة من ربه وأقر له أنه لا يغفر الذنوب غيره كان جديراً أن يغفر له، ولهذا قال تعالى: (ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ) (آل عمران:135). وهذا الاعتقاد يستلزم من العبد الالتزام التام بألوهية الله – عز وجل – وبأسمائه وصفاته، وبالإيمان بالقدر خيره وشره.

قال ابن رجب –رحمه الله-: " واعلم أن مدار جميع هذه الوصية على هذا الأصل، وما ذكر قبله وبعده فهو متفرع عليه، وراجعٌ إليه، فإن العبد إذا علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خيرٍ وشرٍ، ونفعٍ، وضرٍ، وأن اجتهاد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد البتة، علم حينئذ أن الله وحده هو الضار النافع، المعطي المانع، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه عز وجل، وإفراده بالطاعة، وحفظ حدوده، فمن يعلم أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يعطي ولا يمنع غير الله أوجب له ذلك إفراده بالخوف والرجاء والمحبة والسؤال والتضرع والدعاء، وتقديم طاعته على طاعة الخلق جميعاً، وأن يتقي سخطه ولو كان فيه سخط الخلق جميعاً..."[33]. قال ﷺ: "من أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس، ومن أرضى الله بسخط الناس رضي الله عليه وأرضى عليه الناس"[34].

وخلاصة الأمر: أن إفراد الله –عز وجل– بأفعاله العظيمة الحكيمة هو عين توحيد ربوبيته سبحانه، قال تعالى: (فعال لما يريد) (البروج:16)، وقال تعالى: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ) (يونس: 31)، وقال تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الروم:40)، وقال تعالى: (...إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (يوسف:100).

فاعتقاد ذلك هو: توحيد الربوبية، وربوبية الله –عز وجل- على خلقه على نوعين اثنين هما:

الأول: الربوبية العامة: وهي لجميع الناس، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، وهي خلقه للمخلوقين، ورزقُهم وهدايتهم، لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

الثاني: الربوبية الخاصة: وهي تربيته لأوليائه المؤمنين، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكملهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه.

ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب، فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة.[35].

الفرع الثاني: إثبات توحيد الألوهية

توحيد الألوهية يعني: إفراد الله –عز وجل– بأفعال العباد التعبدية. وقد ورد في حديث سيد الاستغفار ما يدل على توحيد الألوهية، وهي لفظة كلمة التوحيد "لا إله إلا أنت". فالإيمان بالله عز وجل يتضمن الاعتقاد الجازم بتفرده بالألوهية، واستحقاقه العبادة وحده دون سواه، وكل ما عبد من دونه فباطل، قال الله تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ). (محمد:19)، وقال تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ). (البينة:5).

- واعتقاد تفرد الله بالألوهية، وإخلاص العبادة له، هو عين توحيد الألوهية، الذي هو حق الله على عباده، وهو أساس الدين.
- وكلمة التوحيد تتضمن أن لا معبود بحق إلا الله، فلا يعبد إلا الله، ولا يجوز أن يُصرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله، فمن قال هذه الكلمة عالماً بمعناها، عاملاً بمقتضاها، من نفي الشرك، وإثبات الوحدانية، مع الاعتقاد الجازم بما تضمنته، والعمل به فهو المسلم حقاً، ومن عمل بها من غير اعتقاد فهو المنافق، ومن عمل بخلافها من الشرك فهو المشرك الكافر، وإن قالها بلسانه.

فإذا اعتقد العبد تفرد الله بهذه الأمور وانقاد لموجبها فقد حقق التوحيد وكان إيمانه بالله صحيحاً، والتوحيد الخالص لله –عزوجل– يقوم على مجموعة من الأسس، أهمها:

1- الكفر بالطاغوت: قال تعالى: (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)، (البقرة:256). وقال ﷺ: "من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله"[(36)].

2- الإيمان بالغيب: قال تعالى: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاة وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ). (البقرة:301).

3- القيام بمقتضى التكليف بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، فالعبد إذا كفر بالطاغوت، وتبرأ من الشرك وأهله، وآمن بجميع أركان الإيمان، فعليه بعد ذلك أن يستجيب لله بفعل ما كلفه به من الطاعات، وترك ما نهاه عنه من المحرمات. قال الله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ). (الذاريات: 56). ففي هذه الآية بيان للحكمة الشرعية التي خلق الله من أجلها الناس، وهي أن يكلفهم بعبادته، بالامتثال لأوامره والانتهاء عن نواهيه. قال الإمام الشوكاني –رحمه الله– "وروي عن مجاهد أنه قال: المعنى إلا لآمرهم وأنهاهم" ويدل عليه قوله تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ). (التوبة:31) واختار هذا الزجاج"[(37)]. فالامتثال لأمر الله بفعل الطاعات، واجتناب ما نهى عنه بترك المحرمات، أساس مهم يقوم عليه الإيمان الصحيح والعبودية الحقة لله عز وجل، والقيام بمقتضى التكليف مشروط بشرطين، هما: الإخلاص والمتابعة.

4- الإخلاص لله في العبادة، وهو حق الله الذي أمر به عباده. قال ﷺ في حديث معاذ –رضي الله عنه-: " فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً"[(38)]. والإخلاص هو أن يقصد العبد بكل عباداته وجه الله تعالى، فلا يشرك معه في العبادة المعينة أحداً، ولا يصرف جنس العبادة لغيره. والإخلاص هو حقيقة معنى شهادة أن لا إله إلا الله. "فتوحيد الألوهية مبني على إخلاص التأله لله تعالى، من المحبة والخوف، والرجاء

والتوكل، والرغبة والرهبة والدعاء لله وحده، ويبنى على ذلك إخلاص العبادات كلها، ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له، لا يجعل فيها شيئاً لغيره، لا لَمَلَكٍ مقرب، ولا لنبي مرسل، فضلاً عن غيرهما، وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، وهو معنى قولنا: لا إله إلا الله، فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة والخشية والإجلال والتعظيم، وجميع أنواع العبادة، ولأجل هذا التوحيد خُلقت الخليقة، وأُرسلت الرسل، وأنزلت الكتب وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار، وسعداء أهل الجنة، وأشقياء أهل النار"[39].

- وضابط الإخلاص: أن كل ما ثبت أنه عبادة فهو من الدين. وما كان من الدين فيجب أن يكون خالصاً يقصد به وجه الله وحده. فلا يشرك معه فيه أحد، ولا يصرف جنسه إلى غير الله. فالإخلاص شرط في صحة العبادة، وأساس هام من أسس الإيمان بالله.

5- صدق المتابعة للرسول ﷺ فصدق المتابعة للرسول ﷺهو مكمل لكلمة التوحيد وحقيقة معنى شهادة أن محمداً رسول الله، قال ابن رجب –رحمه الله-: "وتحقيقه بأن محمداً رسول الله، ألا يعبد الله بغير ما شرعه الله على لسان محمد ﷺ"[40]. قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...).(الأحزاب:21). قال ابن كثير–رحمه الله-: " هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺفي أقواله وأفعاله وأحواله "[41]. ففي قول الله تعالى: (لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ) دليل على أهمية الاقتداء برسول الله ﷺ، وأنه أساس العبودية التي ينبغي أن يكون عليها من كان يرجو رضوان الله والفوز بالجنة. وقد ذكر الله -عز وجل- صدق المتابعة مع الإخلاص في قوله تعالى: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا). (الكهف:110). "وهذان ركنا العمل المتقبل لا بد أن يكون صواباً خالصاً...."[42]. واتباعه صلى الله عليه وسلم يكون بتعلم ما جاء به من الوحي والعمل به والاقتداء به، ولهذا فالتأسي بالنبي ﷺ وصدق المتابعة له شرط في صحة العبادة، وأساس عظيم يقوم عليه الإيمان بالله، وأن ذلك لا يتحقق إلا

بالابتعاد عن الغلو والبدع والمعاصي، وبهذا نعرف أن طريق النبي ﷺ ومتابعته تستلزم ثلاثة أمور: الأول: التوحيد الخالص لله عز وجل، الثاني: الدعوة إلى توحيد الله وعبادته وحده، الثالث: العلم والبصيرة في ذلك كله.

6- العلم: وهو أمر لازم لتحقيق جميع الأسس المتقدمة، فلا يحقق الكفر بالطاغوت إلا بالعلم بصفات الطواغيت وخصائصهم وأحوالهم وهكذا في بقية الأسس؛ ولذلك جاء في الكتاب والسنة أن العلم أساس العمل، كما أنه ركن بارز في دعوة النبي ﷺ، قال الله تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي...) (يوسف:108)[43].

- وخلاصة القول:

أن كلمة التوحيد مشتملة على النفي التام، والاثبات العام، الذي يجب على قائلها أن يحقق معناها ويطبق شروطها الثمانية[44]. وأن كلمة التوحيد هي محور علاقة العبد بربه، وأن قرب العبد من الله، وحصوله على ولايته، إنما يتحقق إذا عرف العبد ربه معرفة صحيحة، ثم تعلق قلبه به محبة وخوفاً ورجاء، ثم قصده وحده بعبادته، ولم يصرف جنس تلك العبادات لغيره، ملتزماً بما شرع سبحانه من العبادات، مقتدياً برسول الله ﷺ في أدائها، مستقيماً على ذلك. فالتوحيد هو المقصود من جميع التكاليف، فيجب أن يكون ملازماً لكل عمل من أوله إلى آخره، فالتوحيد هو الأول، والآخر بالنسبة إلى عمل المؤمن، وهو الأساس الذي يحكم سيره ويمضي من أجله حياته.

الفرع الثالث: إثبات توحيد الأسماء والصفات

توحيد الأسماء والصفات يعني: إفراد الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى الواردة في القرآن والسنة، والإيمان بمعانيها وأحكامها.

وقد ورد في حديث سيد الاستغفار لفظ: "خلقتني"، وفيه إثبات الصفة لله عز وجل بأنه الخالق، أي الموجد من العدم، فالخالق من أسمائه سبحانه، وله صفة الخلق والتكوين والإيجاد من العدم، فهو متصف بصفات تليق بجلاله، لا يشابهه شيء من مخلوقاته، قال الله تعالى:

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ). (الشوراى:11). وقال الله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ).(الروم: 40). فإقرار العبد بأن الله هو الخالق في حديث "سيد الاستغفار" فيه دلالة إرشاد للعبد إلى الاعتقاد بأن الله له الانفراد المطلق بالكمال من جميع الوجوه والانفراد بنعوت العظمة والجلال، والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه. ويكون ذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسول الله ﷺ، من جميع أسماء وصفات، ومعانيها، وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله، من غير نفي لشيء منها، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل، ونفي ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسول الله ﷺ من النقائص والعيوب ومن كل ما ينافي كماله[45].

وللعلم بتوحيد الأسماء والصفات والإيمان به أهمية عظيمة، ومما يدل على أهميته ما يأتي[46]:

1- أن الإيمان به داخل في الإيمان بالله –عز وجل– إذ لا يستقيم الإيمان بالله حتى يؤمن العبد بأسماء الله وصفاته.
2- أن معرفة توحيد الأسماء والصفات والإيمان به كما آمن السلف الصالح، عبادة لله -عز وجل– فالله أمرنا بذلك، وطاعته واجبة.
3- الإيمان به كما آمن السلف الصالح طريق سلامة من الانحراف والزلل اللذين وقع فيه أهل التعطيل، والتمثيل، وغيرهم ممن انحرف في هذا الباب.
4- الإيمان به على الوجه الحقيقي سلامة من وعيد الله، قال تعالى: (وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأعراف:180).
5- أن هذا العلم أشرف العلوم، وأهمها على الإطلاق، فالاشتغال بفهمه، والبحث فيه اشتغال بأعلى المطالب، وأشرف المواهب.

6- أن أعظم آية في القرآن الكريم هي آية الكرسي، وإنما كانت أعظم آية لاشتمالها على هذا النوع من أنواع التوحيد.

7- أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن الكريم؛ لأنها أخلصت في وصف الله عز وجل.

8- أن الإيمان به يثمر ثمرات عظيمة، وعبوديات متنوعة، يظهر ذلك جلياً عند تدبر ثمرات هذا التوحيد.

وخلاصة الأمر في هذا: أن الدلالات العقدية فيما سبق في حديث سيد الاستغفار تتلخص فيما يأتي:-

- أولاً: إثبات توحيد الربوبية.
- ثانياً: إثبات توحيد الألوهية.
- ثالثاً: إثبات توحيد الأسماء والصفات.

فالعلم بوحدانيته –تعالى- وأنه لا إله إلا هو مطلوب لذاته، وإن كان لا يُكتفى به وحده، بل لا بُدَ معه من عبادته وحده لا شريك له، فُهما أمران مطلوبان لأنفسهما:

الأمر الأول: أن يُعرف الرب تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه.

الأمر الثاني: أن يعبد بموجبها ومقتضاها. فكما أن عبادته مطلوبة مرادة لذاته، فكذلك العلم به ومعرفته أيضاً، فإن العلم من أفضل العبادات[47].

الفرع الرابع: إثبات عبودية العبد لله -عز وجل-

في قوله ﷺ في حديث سيد الاستغفار: "وأنا عبدك". إذ إنه وصف لعموم الخلق بأنهم عبيد لله تعالى، شاءوا أم أبوا، أحبوا أم كرهوا، لكن المؤمنين يُختصون بعبوديتهم لله تعالى عن محبة واختيار. وبهذا الاعتبار يمكن تقسيم العبودية لله تعالى باعتبار العموم والخصوص إلى قسمين، هما:

القسم الأول: العبودية العامة

وهذه العبودية لله جل وعلا تعم الناس جميعاً، وتشمل المؤمن والكافر، ويشترك فيهما الموحد والمشرك، فالكل أمام الله سبحانه وتعالى عبد ذليل، خاضع صاغر. قال الله تعالى: (إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً)(مريم:93)فلا يمكن لأحد من الخلق أن يخرج عن وصف العبودية، ومن المفسرين من حمل الإتيان الوارد في هذه الآية على أحوال الناس يوم القيامة[48]، لكن الرازي –رحمه الله– اعتبر المعنى عاماً، إذ لا تخصيص في الآية[49].

يقول أبو السعود –رحمه الله– في تفسير الآية الكريمة: "أي ما منهم أحد من الملائكة والثقلين: (إلا آتي الرحمن عبداً): إلا وهو مملوك له يأوي إليه بالعبودية والانقياد"[50]. وقال البقاعي –رحمه الله- "أي منقاداً له طوعاً أو كرهاً، في كل حالة وكل وقت"[51]. وقال ابن القيم –رحمه الله– " العبودية العامة عبودية أهل السماوات والأرض كلهم لله، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، فهذه عبودية القهر والملك" [52]. قال تعالى: (وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ)(الروم:26). قال ابن جرير الطبري – رحمه الله- " وأولى معاني القنوت في قوله: (كل له قانتون) الطاعة والإقرار لله عز وجل بالعبودية، بشهادة أجسامهم، بما فيها من آثار الصنعة والدلالة على وحدانية الله -عز وجل-، وأن الله -تعالى ذكرهُ- بارئها وخالقها"[53].

قال ابن القيم –رحمه الله– " وإنما انقسمت العبودية إلى خاصة وعامة؛ لأن أصل معنى اللفظة: الذل والخضوع، يقال طريق معبد، إذا كان مذللاً بوطء الأقدام، لكن أولياءه خضعوا له وذلوا له طوعاً واختياراً، وانقياداً لأمره ونهيه، وأعداءه خضعوا له قهراً ورغماً"[54].

القسم الثاني: العبودية الخاصة

إذا كان الكافرون منقادين لله تعالى كرهاً، مستسلمين له جبراً، عبيداً لربوبيته اضطراراً، وهم في دائرة التكوين تحت مشيئته القدرية وأمره الكوني، فإن المؤمنين يختصون باستجابتهم لله تعالى طوعاً، وسجودهم له اختياراً، وعبوديتهم له رغبة ومحبة، فهم في دائرة التكليف منقادون لقضاء الله وأمره الشرعي، مستسلمون لمشيئته وإرادته الدينية، يتبعون شرعه، ويقبلون دينه، ويطيعون أمره، ويتذللون لتكليفه، ويصبرون على أقداره، ويخضعون لحكمه، وهم في هذه

الخصوصية متفاوتون بحسب أحوالهم في درجات الإيمان ومراتبه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله– وهو يتناول لفظ العبودية: " فإن العبد تارة يُعنى به المعبد فيعم الخلق، كما في قوله تعالى: (إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً) (مريم:93) وتارة يُعنى به العابد فيخص، ثم يختلفون، فمن كان أعبد علماً وحالاً كانت عبوديته أكمل، فكانت الإضافة في حقه أكمل، مع أنها حقيقة في جميع المواضع"[55] وبهذه العبودية الخاصة وُصِف المؤمنون في القرآن الكريم، وبها كان الثناء والمدح لهم في آيات كثيرة. وما ورد في حديث سيد الاستغفار هو من هذا القسم. فقد جاء لفظ: "وأنا عبدك" بعد ذكر الاعتراف بأن الله -عز وجل- هو الخالق، فكما أنه لا خالق إلا الله، فلا معبود للعبد سواه. فقوله ﷺ في حديث "سيد الاستغفار "أنا عبدك" يتضمن القول: أنت وحدك تفردت بخلقي ورزقي وإحيائي وإماتتي، فأنا لا أعبد إلا إياك، ولا أخضع ولا أذل ولا أدعو ولا أستغيث إلا بك وحدك، فأنت الذي أوجدتني من العدم. وفيه الاعتراف لله بالعبودية والخلق، وعبودية الخلق لله تعالى نوعان، الأول: عبودية لربوبيته، وهي العبودية العامة: أي أن الخلق كلهم قد أوجدهم الله وخلقهم فهو يرزقهم ويحييهم ويُميتهم لا شريك له في ذلك.

والنوع الثاني: عبودية لألوهيته: وهي العبودية الخاصة، وهذه خص الله بها بعض خلقه الذين وفقهم إلى الإيمان وهداهم إلى طاعته، وهي المقصودة بقوله ﷺ في الحديث "وأنا عبدك". لأن العبودية لربوبية الله -عز وجل- أشار إليها المصطفى في الحديث بقوله "خلقتني" وبقوله "اللهم أنت ربي" قال ابن القيم –رحمه الله– " فالخلق كلهم عبيد لربوبيته، وأهل طاعته وولايته هم عبيد ألوهيته"[56].

فعبيد الطاعة هم المضافون إليه سبحانه في قوله: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) (الحجر:42) وقوله: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً)(الفرقان: 63) ومن عداهم فعبيد القهر والربوبية، فإضافتهم إليه كإضافة سائر البيوت إلى ملكه، وإضافة أولئك كإضافة البيت الحرام إليه، وإضافة ناقته إليه، وداره، التي هي الجنة، إليه، وإضافة عبودية رسوله إليه بقوله: (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ) (الجن:19)[57]. فقوله ﷺ: "أنا عبدك" أي عابد لك، ومطيع

لك، وممتثل لأمرك، ومنقاد لشرعك. فهذه العبودية لله عز وجل لها محبة خاصة عند العبد، فهي تستلزم كمال الذل والخضوع، والتعظيم، وكمال الطاعة، وإيثاره على غيره، فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلاً.

الفرع الخامس: إثبات العهد والوعد من العبد لله -عز وجل-

الإقرار بالعهد المأخوذ على عباد الله سبحانه وتعالى يكون بتنفيذ الوعد بالاستقامة على طاعته ما استطاع العبد إلى ذلك سبيلاً، وبيان ذلك في المسائل الآتية:

المسألة الأولى: الإقرار بالعهد المأخوذ على عباده

جاء في لفظ الحديث قوله ﷺ "وأنا على عهدك"، والمقصود به "أي عاهدتك ملتزماً بالإيمان والعبادة والانقياد لأمرك". قال ابن منظور –رحمه الله- " العهد كل ما عوهد الله عليه، وكل ما بين العباد من المواثيق"[58].

وقال الراغب الأصفهاني –رحمه الله– "العهد حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال، وسمي الموثق الذي يلزم مراعاته عهداً، قال تعالى (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً) (الإسراء:24) أي أوفوا بحفظ الأيمان"[59].

والعهد في الاصطلاح: حفظ الشيء ومراعاته حالاً فحالاً، أو ما يعهد إليك لأجل حفظه، ويُطلب منك القيام به"[60]. والوفاء بالعهد من أبرز علامات الصادقين؛ لأنه تجسيد عملي للصدق، قال الله تعالى (وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا) (البقرة:177). والعهد يشمل بعمومه العهد الإيماني الذي يعاهد المسلمون الله عليه، من التزام مدلول الشهادتين باتباع الوحيين، وما يعاهد الناس بعضهم بعضاً عليه.

ويشترط في وجوب الوفاء بعهود الناس فيما بينهم أن لا يكون في معصية الله، ويدخل ضمن العهد ما يتعاقد عليه الناس من العقود الدنيوية، فإن الوفاء بها واجب مالم تكن فيها مخالفة لأمر الله وشريعته، فإن ما يخالف الشرع يكون عقده باطلاً. فلا يجوز للمسلم أن يعاهد أحداً أو يعاقده على شيء يعلم مخالفته لدين الله في الأصول، أو لشريعته في الفروع، لا بنية الوفاء، ولا بنية الغدر؛ لأن العقد معصية، والوفاء معصيتان، والغدر معصيتان لما يتضمنه من

الغرر والغش. فالوفاء بالعقد أو العهد المخالف للدين يشمل عدة معاص، هي: 1- معصية إبرامه الذي هو نقض لبعض محتويات عهد الإيمان بالله أو بكله، 2- معصية الإصرار عليه، 3- معصية الوفاء به لأنه غش للمسلمين، وفي الوفاء به أيضاً إخلال بالعقيدة[61].

المسألة الثانية: تنفيذ الوعد بالاستقامة بشرط الاستطاعة

جاء في لفظ الحديث "ووعدك ما استطعت"، والمقصود به: (أي وعدتك أن أستقيمَ وألتزم بالإيمان والعبادة والانقياد لأمرك، مقيماً على ذلك ما استطعت ملتزماً بذلك قدر استطاعتي، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها)، قال الله تعالى: (لا يُكَلِّفُ اللَّـهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا). (البقرة:286)، وقال ﷺ لسفيان بن عبد الله: "قل آمنت بالله ثم استقم"[62].

والوعد يطلق في اللغة على الترجية بخير أو شر، بخلاف الوعيد فيطلق على الترجية بشر فقط[63]، ومنه قوله تعالى: (أَلا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ)(يونس:55) فهذا وعد بالقيامة، وجزاء العباد إن خيراً فخير، وإن شراً فشر[64]. فالوعد والاستقامة على الطاعة والعبودية من لوازم الصدق، إذ الصادق لا يعرف التلون ولا الاعوجاج في التعامل، ولا يعرف التراجع عن الحق الذي التزمه ووعد الله بالاستقامة عليه مهما كلفه ذلك من الأعباء والمتاعب. وعلاقة قوله تعالى: (ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا) (الحجرات:15) بالاستقامة وثيقة؛ لأن الاستقامة تستلزم دوام اليقين في قوته، بل وزيادته، وأن من عوامل التساقط والفتور والانتكاس –والعياذ بالله- الشك الذي يعتري القلب بالتدرج قليلاً قليلاً، من هنا ندرك أن عدم الارتياب والشك عامل مهم جداً و ضروري في الاستقامة[65]. "و(ثم) للإشعار بأن اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الإيمان ليس في حال إنشائه فقط، بل فيما يستقبل، فهي كما في قوله تعالى (ثُمَّ اسْتَقَامُوا)(فصلت:30)"[66].

المسألة الثالثة: العلاقة بين الوعد والعهد

"يشترك الوعد والعهد بأن كلا منهما إخبار بأمر جزم المخبر بأن يفعله، ويفترقان في أن العهد يزيد على الوعد بالتوثيق الذي يقدمه صاحب العهد من أيمان مؤكدة"[67]. قال الله تعالى (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنْ الصَّالِحِينَ (75) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (76) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا

اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (77)) التوبة:75 – 77). فنفاذ العهد والالتزام به، ونفاذ الوعد والالتزام به من الإيمان الصادق، ففي حقيقة الأمر أن كل نص قرآني أو سنة اشتمل على أمر أو نهي، فهو عهد مع الله يجب الالتزام به، ووعد بعدم المماطلة فيه. فالوفاء بعهد الله تعالى يكون بطاعته، وطاعة رسوله ﷺامتثالاً لأوامرهما واجتناباً لنواهيهما. وبهذا ندرك شمولية العهد والوعد لكل أمر أو نهي ثبت في القرآن الكريم أو سنة النبي ﷺ.[68] ونقض العهد وخلف الوعد رذيلة خلقية، أساسها عدم تأدية الحق الذي يجب الالتزام به مالم يكن عدم الوفاء خيراً منه، ففعل ما هو خير هو الأفضل في الإسلام؛ لأن الإسلام يحث دائماً على فعل ما هو خير. لذا قال ﷺ "من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير"[69].

"وللإخلاف بالوعد أو بالعهد أربعة أحوال هي:

الحالة الأولى: التعبير العملي عن الكذب منذ إعطاء الوعد أو العهد، وهو في هذا يحمل رذيلة الإخلاف المستند إلى رذيلة الكذب.

الحالة الثانية: النكث والنقض لما أبرمه والتزم به من وعد أو عهد، وهذا يعبر عن ضعف الإرادة وعدم الثبات، وعدم احترام شرف الكلمة وثقة الآخرين بها. وهذا الخلق يفضي بصاحبه إلى النبذ من جماعة الفضلاء الذين يوثق بهم وبأقوالهم.

الحالة الثالثة: التحول إلى ما هو أفضل وخير عند الله، والانتقال إلى ما هو أكثر طاعة لله، إلا أن هذه الحالة لا تكون في العهود العامة التي تدخل فيها حقوق دولية، ولا في العهود التي ترتبط بها حقوق مادية للآخرين من الناس.

أما العهد مع الله في التزام أمر من الأمور فقد تجري المفاضلة بينه وبين غيره؛ لاختيار ما هو أقرب إلى طاعة الله، وتحقيق مرضاته.

الحالة الرابعة: العجز عن الوفاء لسبب من الأسباب، ومن عجز عن الوفاء مع صدق رغبته به وحرصه عليه فهو معذور، لعدم استطاعته. وأما حالة النسيان فهي من الأمور العامة التي تشمل كل واجب أو مستحب، وتنطبق عليها أحكام النسيان عامة.

وصادق العهد والوعد هو الذي يكون عازماً على الوفاء منذ إعطائه الوعد أو العهد، ويظل حريصاً على ذلك مالم يمنعه مانع من التنفيذ يعذر به، وكان ترك الوفاء استجابة لرغبة من كان الوعد أو العهد من أجله، وابتغاء مرضاته أو مسرته"(70).

وخلاصة القول في هذا الأمر أن العبد الذي قال: "أنا عبدك" هو ممتثل منقاد، قد عاهد الله وواعده على لزوم الإيمان والاستقامة على طاعته، والعبد في كل صلاة، بل في كل ركعة يعاهد الله على إخلاص العبادة له (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة:5). وهذا وعد وعهد أن تعبدهُ ولا تعبد غيره، وأن تستعين به ولا تسعين بغيره.

ويقول بعض أهل العلم: يُحتمل أن المعنى أني مقيم على ما عهدت إلي من أمرك، ومتمسك به ما استطعت، فالله عهد إلينا أن نلتزم بالإيمان، أمرنا بذلك ودعانا إليه، فهذا العبد بهذا الدعاء يقول: (اللهم إني ملتزم بما عهدت إلينا من الإيمان، ملتزم أن أقوم بذلك وأنقاد قدر استطاعتي).

ثم إن في قوله ﷺ: "ما استطعت" تقييد ذلك كله بالاستطاعة، يعني قدر استطاعتي، وهذا من رحمه الله جل وعلا بخلقه. فاشتراط الاستطاعة فيه اعتراف بالعجز والقصور، وكأنه يقول: أنا لا أستطيع أن أكمل الإيمان وآتي به على أعلى مراتبه وأتم مقاماته، وأعترف بعجزي وقصوري، فلا تؤاخذني على عجزي وضعفي وقصوري، وقد قال الله تعالى في القرآن الكريم: (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا)(القرة:286). وجاء في الحديث أن الله -تعالى ذكره- قال: "فعلت". وجاء عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح أنه قال: "إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم"(71).

والحديث واضح إذ إنه قيد الأمر قيده بالاستطاعة؛ لأن بعض الأوامر قد لا يستطيع أن يقوم بها الإنسان، أو قد يستطيع أن يقوم بها لكن لا يستطيع أن يكملها، فعلق فعل الأمر بالاستطاعة، لكن لما ذكر النهي قال: " إذا نهيتكم عنه فاجتنبوه" ولم يقل: ما استطعتم؛ لأن النهي ترك، والترك مستطاع لكل أحد، فالمنهيات عنها مستطاع لكل أحد تركها، فلا أحد يقول: لا أستطيع أن أترك شيئاً من هذه الأمور، إذ لا يقول ذلك إلا من كان عنده فساد وهوى في فعل

المعصية -والعياذ بالله- ولهذا لم يعلق الترك بالاستطاعة. فقوله ﷺ: " ما استطعت" إعلام للأمة أن أحداً لا يقدر على الإتيان بجميع ما أوجبه الله عليه، ولا الوفاء بكمال الطاعات والشكر للنعم، فَرَفَقَ الله بالأمة، ولم يكلفهم من ذلك إلا وسعهم، فيجتهد العبد ويكون صادقاً مع الله في ذلك. في فعل الطاعات والقيام بشكر النعمة، وتحقيق الإيمان قدر استطاعته، والله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصُدور.

الفرع السادس: إثبات الاعتراف والالتجاء التام لله -عز وجل-

إن من دواعي حياة القلب أن يديم المؤمن التوجه إلى الله -عز وجل- بالدعاء. أن يشرح صدره، ويثبت قلبه، ويسلمه من مرض الشبهة والشهوة. ومن الدعاء الوارد في كتاب الله عز وجل ما تضمنته الآية الكريمة: (رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا...)(آل عمران:8).ففي هذه الآية تعليم المؤمنين دعاء ربهم سبحانه بأن يثبت قلوبهم على الحق والهدى، وأن يحفظها من الانحراف إلى سبل الضلال والباطل. قال ابن كثير –رحمه الله– "أي لا تُمِلها عن الهدى بعد إذ أقمتها عليه"[72]. وكان رسول الله ﷺ -وهو أتقى الناس وأكثرهم خشية لله -يلجأ إلى الله -عز وجل- بالدعاء، ويستعيذ به من شر النفس والشيطان. وقد ورد في حديث "سيد الاستغفار" إثبات الاعتراف والالتجاء التام إلى الله عز وجل وبيان ذلك في المسائل الآتية:

المسألة الأولى: الاستعاذة من شر الأعمال

حيث ورد في الحديث قوله ﷺ: "أعوذ بك من شر ما صنعت"، والمقصود به: (أعوذ بك يا الله وأستجير بجنابك من كل شر في صنيعي، سواء كان قولاً أم فعلاً أم اعتقاداً). وقد جاء عن أبي هريرة -رضي الله عنه– أن أبا بكر -رضي الله عنه- قال: يا رسول الله، مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت قال: (قل: اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء وملكيه، أشهد ألا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، وشر الشيطان وشركه)[73]. فالاستعاذة هي طلب الإعاذة، وهي الحماية من مكروه، سواء كان المستعاذ منه عدواً بشراً، أو شيطاناً، أو نفس الإنسان الذي بين جنبيه، وإغلاق جميع المنافذ الذي يكون بسببها صدور شر الأعمال عن العبد.

فأنت عندما تقول: " أعوذ بك من شر ما صنعت" فيها دلالة واضحة تكشف لك، عند النطق بلسانك، والإيمان بقلبك، أهمية الاستعاذة من شر كل ذي شر. وهذا من الإيمان الصادق عند العبد باعترافه بأن لا منجى ولا ملجأ ولا دافع للمكروه والشرور إلا الله عز وجل. فيطلب العون من الله –عز وجل– بأن يقيه شر الشيطان وشركه، وشر كل ذي شر.

وعلى رأس الأمر الاستعاذة بالله من الشيطان وإغلاق منافذه، ومن شر النفس وأعمالها. وأساس شرورها من إغواء الشيطان، وقد أكد الله –عز وجل- في أكثر من موضع في القرآن الكريم على عظم عداوة الشيطان للإنسان، ومن ذلك قوله تعالى: (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً)(الإسراء:53) وقوله: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً...)(فاطر:6). ومن عداوة الشيطان الظاهرة دأبه على إضلال المؤمنين وإغوائهم، وتزيين المعصية في قلوبهم، والوسوسة بالشر في صدورهم، ومحاولته المتجددة في الاستحواذ عليهم، وإيقاعهم في حبائله وأباطيله، فيصدهم عن عبودية الله –عز وجل–، وينأى بهم عن الاستقامة على شرعه ودينه، لتصبح قلوبهم محلاً للغفلة، ومقراً للشبهة، ومرتعاً للشهوة، ناسيةً الحق، تاركةً للهدى، غافلةً عن الذكر، وعن شكر نعم الله. قال الله تعالى: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ..)(البقرة:268). وقد أوضح رسول الله ﷺ خطورة الشيطان على قلب العبد، وسريان وساوسه وخطراته إليه، وإحاطته به من جميع جوانبه. وذلك في قوله ﷺ لرجلين من الأنصار: "إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإنني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءاً، أو قال: شيئاً"[(74)].

فالآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة الواردة في التحذير من عداوة الشيطان، ووساوس أهل الشر والنفس الأمارة بالسوء، تضمنت النهي للناس عموماً، والمؤمنين خصوصاً، عن طاعة الشيطان وقبول خطراته ووساوسه، والتنفير عن سلوك سبيله، والسير في طريقه الذي يدعو إليه، والتحذير من متابعته فيما يأمر به من السوء، وكذا وساوس أهل الشر والنفس الأمارة.

ومن أهم العوامل المؤثرة في إغلاق أبواب الشر ومنافذه ما يأتي:-

1- تقوى الله -عزوجل-.

2- ذكره -سبحانه وتعالى- على الدوام.

3- الاستغفار.

4- الدعاء.

5- الاستعاذة بالله -عزوجل- من جميع الشرور.

6- الاستعانة بالله -عزوجل- في جميع أمور العبد الدينية والدنيوية.

ففي هذه الأعمال عصمة للقلوب وابتعاد عن شر الأعمال، وبها يحفظ الله قلوب أهل العبودية من الشرور كلها، وهو القادر على كف ذلك كله، وحماية العبد منه.

المسألة الثانية: الاعتراف بالنعم

ورد في الحديث قوله ﷺ: "أبوء لك بنعمتك عليّ". أي: (أعترف وأقر لك بنعمتك عليّ، وهذا اعتراف بجميع نعم الله -عزوجل- كنعمة الإسلام والإيمان، ونعمة إقامة العبادة والامتثال لأمر الله ونهيه، ونعم الحياة الدنيا، كنعمة العافية، ونعمة الولد، ونعمة الرزق، ونعمة الزرع، ونعمة البيت، وغيرها من نعم الله على عبادة التي لا تعد ولا تحصى).

قال الله تعالى: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا). فالاعتراف بالنعم اعتراف شمولي لا جزئي، كامل لا ناقص؛ لأن النعمة مفرد مضاف، والقاعدة في لغة العرب أن المفرد إذا أضيف عم، فلم يقيد الاعتراف بذكر نعمة معينة، بل أطلق بقوله: "بنعمتك عليّ" ومعنى ذلك: أعترف وأقر لك بكل نعمة أنعمت بها عليّ، والنعم كلها من الله -سبحانه وتعالى- وهو مسديها ومولها -سبحانه وتعالى-. قال تعالى: (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ)(النحل:53) فالنعم كلها من الله، والاعتراف بذلك موجب لشكر الله عزوجل على النعم، كما قال تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)(ابراهيم:7).

فإذا اعترف العبد بأن النعمة من الله وحده لا شريك له فيها فعليه أن يشكره عليها بقلبه ولسانه وعمله، فالعبد في هذه الحياة في صباحه ومساءه يتقلب بين أمرين الأول، نعمة حادثة من الله عز وجل، وهي محتاجة إلى شكر.

الثاني: ذنب يقع فيه لتقصيره، فهو محتاج إلى استغفار، والحديث جمع بين الأمرين. فالعبد لا بد أن يحدث للنعمة شكراً، وللذنب استغفاراً. والاعتراف بنعم الله -عز وجل- وشكره عليها من لوازم الإيمان، فقد أمر الله به وجعله من العبادة، كما ورد في قوله تعالى: (وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)(النحل:114) وقال: (وَاشْكُرُوا اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)(البقرة:172).

فالاعتراف بنعم الله -عز وجل- وشكره عليها دليل على صدق العبادة لله، فإذا تخلف هذا فقد تخلف الصدق في العبادة لله بمعناها الحقيقي، فلا عبادة بدون الاعتراف بحق المعبود، والإخلاص له عز وجل قولاً وفعلاً واعتقاداً. وقد جعل الله -عز وجل- الاعتراف بنعمه والشكر له غاية خلق الإنسان، قال تعالى: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)(النحل:78). وجعل الله -عز وجل- الاعتراف بنعمه والشكر له سبباً للمزيد من فضله، قال تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)(إبراهيم:7).

قال سيد قطب –رحمه الله– "إن شكر النعمة دليل على استقامة المقاييس في النفس البشرية، فالخير يشكر؛ لأن الشكر هو جزاؤه الطبيعي في الفطرة السليمة المستقيمة. هذه واحدة، والأخرى: إن النفس التي تشكر الله على نعمته تراقبه في التصرف بهذه النعمة، بلا بطر، ولا استعلاء على الخلق، ولا استخدام للنعمة في الأذى والشر والدنس والفساد. وهذه وتلك: مما يزكي النفس ويدفعها إلى العمل الصالح والتصرف الصالح في النعمة، بما ينميها ويبارك فيها، ويرضي الناس عنها وعن صاحبها، فيكونون له عوناً، ويصلح روابط المجتمع، فتنمو الثروات في أمان، إلى آخر الأسباب الطبيعية الظاهرة لنا في الحياة. وإن كان وعد الله بذاته يكفي لاطمئنان المؤمن، أدرك الأسباب أو لم يدركها، فهو حق واقع لأنه وعد الله.

والكفر بنعمة الله قد يكون بعدم شكرها، أو بإنكار، أن الله واهبها ونسبتها إلى العلم والخبرة والكد الشخصي والسعي كأن هذه الطاقات ليست نعمة من نعم الله. وقد يكون بسوء استخدامها بالبطر والكبر على الناس واستغلالها للشهوات والفساد، وكله كفر بنعمة الله. والعذاب الشديد قد يتضمن محق النعمة، عينا بذهابها، أو سحق آثارها في الشعور، فكم من نعمة تكون بذاتها نقمة يشقى بها صاحبها ويحسد الخالين. وقد يكون عذاباً مؤجلاً إلى أجله في الدنيا أو في الآخرة كما يشاء الله، لكنه واقع؛ لأن الكفر بنعمة الله لا يمضي بلا جزاء..."[75].

إن الصدق في الاعتراف بنعم الله والشكر له سبحانه له آثاره من حيث الخضوع لله تعالى، وحبه، والاعتراف بنعمته، والثناء عليه، وعدم استعمال نعمته فيما يكره. وهذه كلها شروط الاعتراف بالنعمة، والشكر لله سبحانه. فلا يكون الاعتراف بالنعم والشكر لله صدقاً إلا بتحقيق هذه الشروط واستيفائها، والمجاهدة المستمرة لنيل تلك المنزلة العالية. فعن عائشة -رضي الله عنها– أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة –رضي الله عنها-: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: "أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً"[76].

وخلاصة القول في هذا:

أولاً: أن الاعتراف بالنعم والشكر على ذلك لا بد من أن يكون متعلقة ظاهراً وباطناً. فالظاهر بما يظهر من آثار ظاهرة في السلوك والأعمال، وقبل ذلك ما في الباطن من شعور عميق في النفوس، فيه الإرهاف والإحساس والتواضع. وهذا لا شك أنه منزلة سامية ومرتقى صعب، لا ينال إلا بالمجاهدة والمصابرة، وكل ذلك بتوفيق من الله -عز وجل-، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

فليستحضر الإنسان قلبه في حال النطق بحديث سيد الاستغفار، فله الأثر العظيم. وليلتجئ المؤمن إلى ربه -سبحانه وتعالى. وقد أوصى الرسول ﷺ معاذ بن جبل –رضي الله عنه– بقوله: "يا معاذ والله إني لأحبك، لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"[77]. فالشكر اعتراف بنعم الله عز وجل الظاهرة والباطنة.[78]

ثانياً: أن الاعتراف بنعم الله -عز وجل- هو عين شكر الله وهو يبنى على خمسة أمور، هي:

1- خضوع الشاكر المعترف بنعمة الله -عزوجل- للمشكور.

2- حب الشاكر المعترف بنعمة الله -عزوجل- له.

3- الاعتراف التام بجميع نعم الله -عزوجل- عليه.

4- الثناء التام من العبد على الله -عزوجل- بما هو أهله.

5- الحرص على نعم الله -عزوجل- في استعمالها فيما يرضي الله.

فهذه الأمور الخمسة تشمل القلب واللسان والجوارح كالآتي:

أ. تشمل القلب خضوعاً وحباً واعترافاً.

ب. تشمل اللسان ثناءً وتمجيداً.

ج. تشمل الجوارح انقياداً وطاعة واجتهاداً فيما يرضي المنعم سبحانه وتعالى[79].

المسألة الثالثة: الاعتراف بالذنوب

ورد في الحديث قوله ﷺ "وأبوء بذنبي"، أي: (أقر وأعترف بذنبي وتقصيري في هذا). "فمن آداب الدعاء، وأنت تتبتل في محراب الرجاء، وتتضرع إلى الله بكشف الكرب والغم والبلاء أن تقر بذنبك وتعترف بخطئك وتبكي على خطيئتك، وهذا المقام من كمال العبودية. ولك أسوة حسنة في الأبوين: آدم وحواء، حيث اعترفا بذنبهما قبل طلب المغفرة (قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ). (الأعراف:23). وفي يونس عليه السلام، حيث أخبر الله عنه: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنْ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ).(الأنبياء:87، 88)

فانظر -رحمك الله- كيف مجّد ربه وأثنى عليه بما هو أهله ونزهه، ثم اعترف بتقصيره، فاستجاب الله له، ونجاه من الغم، وكشف عنه الكرب.

وقد جاء هذا الأدب في حديث الإفك إذ قال رسول الله ﷺ لعائشة -رضي الله عنها-: "أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرَؤك الله، وإن كنت ألممت

بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف ثم تاب، تاب الله عليه"[80]. وعن علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– قال: أنه قال رسول الله ﷺ "إن الله ليعجب إلى العبد إذا قال: "لا إله إلا أنت، إني قد ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال: عبدي عرف أن له رباً يغفر ويعاقب"[81].

وفي الحديث دلالة واضحة على أن من اعترف بذنبه وتاب، تاب الله عليه، مهما كان الذنب. فإذا اعترف العبد، وقال: أنا مذنب، أبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فإذا حصل هذا من العبد غفر الله له، فمن جمع بين هذين الأمرين غُفرت ذنوبه[82].

والمؤمن بحاجة إلى تثبيت ثلاثة أصول اعتقادية لا بد منها، وهي:

الأول: إذا أنعم الله عليه شكر. الثاني: إذا أذنب استغفر. الثالث: إذا ابتُلي صبر.

وفي قوله ﷺ في سيد الاستغفار: "وأبوء بذنبي"، وسابقته لطائف، هي:

اللطيفة الأولى: الجمع بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل.

فالجزء الأول من ذلك هو: مشاهدة المنة توجب المحبة والشكر لولي النعمة والإحسان.

والجزء الثاني من ذلك هو: مطالعة عيب النفس توجب له الذل والانكسار والافتقار والتوبة في كل وقت. (فلا يرى ربه إلا محسناً متفضلاً، ولا يرى نفسه إلا مذنباً مقصراً)

اللطيفة الثانية: ذكر أهل العلم في قول العبد: " وأبوء بذنبي" معنيين، هما:

المعنى الأول: أعترف بذنبي بعدم قيامي بشكر نعمتك على الوجه الأكمل؛ لأنها ذُكرت بعد قوله: "أبوء لك بنعمتك عليّ" أي: أعترف بأني مقصر في شكر نعمتِك.

والمعنى الثاني: أعترف بوقوع الذنب مطلقاً، فقول العبد يعني: أبوء بذنوبي وبمعصيتي، أي كل معصية وقعت مني.

فاعتراف العبد بأنه مذنب ومقصر في حق الله، يعد أول طريق في التوبة، لكن إذا كان يُذنب ويعصي ويرتكب الموبقات، ثم لا يشعر ولا يُحس بأنه مُذْنب أو مقصر، فإن التوبة منه بعيدة، إلا أذا هُدي إلى أسبابها، ووفق إلى طريقها.

فهذان معنيان لقول العبد: "أبوء بذنبي"، والأقوى في ذلك هو الثاني؛ لأن الاعتراف بالتقصير ووقوع الذنب منه مراعاة للاستغفار وملازمته، وهذا لب الحديث ومقصودة.

اللطيفة الثالثة: أن في قول العبد: "أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي" إشارة إلى أن العبد في هذه الحياة في صباحه ومسائه يتقلب بين أمرين، هما:

الأمر الأول: نعمة حادثة من الله -عز وجل-، وهي محتاجة إلى شكر.

الأمر الثاني: ذنب يقع فيه لتقصيره، فهو محتاج إلى استغفار.

والحديث جمع بين الأمرين، ولهذا قال بعض السلف: إني أُصبح بين نعمة وذنب، فأريد أن أُحدث للنعمة شكراً، وللذنب استغفاراً"[83].

اللطيفة الرابعة: أن في هذا الحديث فائدة عظيمة، وهي أن من اعترف بذنبه وتاب، تاب الله عليه، مهما كان الذنب، فإذا اعترف العبد، وقال: أنا مذنب "أبوء وأعترف بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت". فإذا حصل هذا من العبد، غفر الله له، فمن جمع بين هذين الأمرين غُفِرَت ذُنوبُه.

وهذا المعنى الذي أشير إليه في هذا الحديث جاء صريحاً في حديث الإفك السابق الذكر، وموضع الشاهد منه قوله صلى الله عليه وسلم: " فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب، تاب الله عليه".

المسألة الرابعة: الرجاء في العفو والمغفرة

ورد في الحديث قوله ﷺ: " فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت". (أي: بعد اعترافي بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فرجائي في العفو والمغفرة منك وحدك لا سواك). وفي هذا اللفظ من حديث سيد الاستغفار لطائف مهمة، هي:

اللطيفة الأولى: أن في هذا الاعتراف إقرار بأن الله وحده هو الذي يغفر الذنوب، وهو الذي يقبل التوبة عن عبادة. ولهذا يتوجه العبد بالتوبة والاستغفار والإنابة وطلب العفو إلى الله وحده، فإنه لا يغفر الذنوب إلا الله. قال الله تعالى: (وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ)(آل عمران:135).

اللطيفة الثانية: أن في هذا اللفظ جمعاً بين مسألتين عظيمتين هما: (التوحيد والاستغفار)، فهاتان المسألتان أعظم المسائل وأهمُها، وقد جمع حديث سيد الاستغفار بينهما، كما جاء الجمع بينهما في نصوص كثيرة في كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، منها ما يأتي:

أولاً:- قول الله تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ)(محمد:19) فهذه الآية الكريمة جُمع فيها بين التوحيد والاستغفار. بين العلم والقول والعمل.

ثانياً:- ما حكى الله عن ذي النون أنه نادى في الظلمات: { أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ }. (الأنبياء:87).

ثالثاً:- قوله تعالى: (فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ...)(فصلت:6) حيث جمع بين التوحيد والاستغفار.

اللطيفة الثالثة: "أن شهادة أن لا إله إلا الله بصدق ويقين تُذهبُ الشرك كلَه، دقّه وجلّه، خطأه وعمده، أوله وآخره، سره وعلانيته، وتأتي على جميع صفاته وخفاياه ودقائقه. وأن الاستغفار يمحو ما بقي من عثراته، ويمحو الذنب الذي هو من شعب الشرك، فإن الذنوب كلها من شعب الشرك، فالتوحيد يُذهبُ أصلَ الشرك، والاستغفار يمحو فروعه، فأبلغ الثناء قول: لا إله إلا الله، وأبلغ الدعاء قول: استغفر الله"[(84)]. وقد جمع بينهما في هذا الحديث العظيم (حديث سيد الاستغفار).

اللطيفة الرابعة: أن ما تضمنه هذا الاستغفار هو عبارة عن الآتي:

أ. اعتراف العبد بربوبية الله وألوهيته وأسمائه وصفاته والتوحيد الخالص بأنواعه الثلاثة.

ب. الاعتراف بأنه خالقه، العالم به، إذ أنشأه نشأةً تستلزم عجزه عن أداء حقه والتقصير فيه.

ج. الاعتراف بأنه عبده الذي ناصيته بيده، وفي قبضته لا مهرب له منه، ولا ولي له سواه.

د. الاعتراف بأنه الغفار، له صفة المغفرة والرحمة والعفو، وليست لأحدٍ سواه.

"فسلوك مخ الشيء ولبه وخلاصته، وما يقوم به هو من العبادة الحق لله عز وجل، وهذه العبادة لا تقوم إلا بالدعاء كما أن الإنسان لا يقوم إلا بالمخ، لدلالته على الإقبال على الله عز وجل والإعراض عما سواه. قال صلى الله عليه وسلم: "الدعاء هو العبادة"[85]. وقال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ). (غافر:60). والدعاء المأمور به في الآية هو دعاء العبادة ودعاء المسألة. فإذا كان دعاء عبادة: فإن استجابته هي الإثابة من الله سبحانه وتعالى عليه. وإذا كان دعاء مسألة: فاستجابته حصول مقصود الداعي والإثابة عليه أيضاً"[86]. ورُوي عنه ﷺ أنه قال: "إنه من لم يسأل الله غضب عليه"[87].

فللعبد رجاء في عفو الله ومغفرته، وهذا مبتغاه، فالرجاء معناه السعي إلى الشيء مع ميل النفس إلى حصوله. وهو بهذا المعنى إذا قصد الإنسان به التقرب إلى الله كان من مراضيه، فإذا كان من مراضيه ومحابه كان عبادة؛ لأن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، ومن ثم لا بد من تجريد عبادة الرجاء لله عز وجل. رجاءً في عفوه ومغفرته، والتجاءً تاماً إليه سبحانه[88]. وقد ذكر الإمام ابن القيم في كتابه مدارج السالكين كلاماً نافعاً عند ذكره لحديث سيد الاستغفار بقوله: "ثم التزام الدخول تحت عهده –وهو أمره ونهيه– الذي عهده إليه على لسان رسوله ﷺ، وأن ذلك بحسب استطاعتي لا بحسب أداء حقك، فإنه غير مقدور للبشر، وإنما هو جهْد المقل وقدر الطاقة، ومع ذلك فأنا مصدق بوعدك الذي وعدته لأهل طاعتك بالثواب، ولأهل معصيتك بالعقاب، فأنا مقيم على عهدك مصدق بوعدك، ثم أفزع إلى الاستعاذة والاعتصام بك من شر ما فرطتُ فيه من أمرك ونهيك، فإنك إن لم تعُذْنِي من شره وإلا أحاطت بي الهلكة، فإن إضاعة حقك سببُ الهلاك، وأنا أُقِرُ لك وألتزم بنعمتك عليّ، وأُقِرُ وألتزم وأَبْخَعُ بذنبي، فمنك النعمة والإحسان والفضل، ومني الذنب والإساءة، فأسألك أن تغفر لي بمحو ذنبي وأن تُعفِيني من شره إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فلهذا كان هذا الدعاءُ سيد الاستغفار وهو متضمن لمحض العبودية"[89].

الفرع السابع: ثمرات الإيقان التام عند القول به

تحصل ثمرات الإيقان التام عند القول بحديث سيد الاستغفار بما يظهر من يقين تام عند التلفظ بألفاظ الحديث الأخيرة التي فيها دلالة واضحة بعودة كل شيء إلى الله. فالاعتراف التام بقول العبد: "فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت". يحصل منه ثمرات كثيرة، نجملها في الآتي:-

أولاً: الاعتراف التام من العبد بأن الله هو غافر الذنب لا سواه.

ثانياً: ضرورة التوبة والاستغفار والالتجاء التام إلى الله -عز وجل-. وأن ذلك يزيل كل ما أصاب القلب من أثر المعصية، فيتجلى ويعاد إليه صفاؤه ونوره ونقاؤه، ويبقى محفوظاً بإذن الله من السواد المتتابع، المفضي إلى موت القلب وظلمته والعياذ بالله، قال رسول الله ﷺ: "إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة[90] سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع[91] واستغفر[92] صقل قلبه" [93].

ثالثاً: الاعتراف التام بوجوب لزوم ذكر الله -عز وجل-، وأن جلاء القلوب لا يكون إلا بذلك. قال ﷺ: " إن لكل شيء جلاء، وإن جلاء القلوب ذكر الله عز وجل"[94].

قال الإمام ابن القيم –رحمه الله– " لا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما، وجلاؤه بالذكر، فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء، فإذا تُرك صدئ، فإذا ذكر الله جلاه، وصدأ القلب بأمرين: بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين: بالاستغفار والذكر"[95]. ولقد كان من هدي رسولنا ﷺ كثرة الاستغفار واستمراره، وذلك لشدة حرصه على صيانة قلبه الشريف. فبالاعتراف التام من العبد بأن الله هو غافر الذنب لا سواه، وبالاستغفار الدائم والتوبة المستمرة، وبلزوم ذكر الله -عز وجل- المستمر يصفو القلب مما يمكن أن يصيبه من خلل أو فساد.

المطلب الثالث: أثر الإيمان بمعاني حديث "سيد الاستغفار" على طمأنينة قلب المسلم. طمأنينة القلب وسكون النفس قضية تهم البشر جميعاً، فكل إنسان يبحث عن هذا الأمر، لذا كثر كلام المفكرين قديماً وحديثاً عن أسباب الطمأنينة وكيفية حصولها. ومرجع ذلك كله إلى الاقتداء والاهتداء والأخذ بما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. فبذكر الله تطمئن القلوب.

فمعرفة الدلالات العقدية لها أثرها في طمأنينة قلب المسلم. فكلما عرف العبد ذلك تحصل له الطمأنينة القلبية. قال سيد قطب –رحمه الله-:" الاطمئنان بذكر الله في قلوب المؤمنين حقيقة عميقة يعرفها الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، فاتصلت بالله، يعرفونها، ولا يملكون بالكلمات أن ينقلوها إلى الآخرين، الذين لم يعرفوها؛ لأنها لا تنقل بالكلمات، وإنما تسري في القلب فيستروحها ويهش لها، ويندى بها، ويستريح إليها، ويستشعر الطمأنينة والسلام"[96]. قال الله تعالى، مبيناً فضل الذكر والدعاء وأثره على طمأنينة قلب العبد المسلم: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(الأنفال:2).

فهذه هي الطمأنينة التي هي أثر من آثار الدلالات العقدية في حديث سيد الاستغفار. حيث تسكن في قلوب المؤمنين المحبين، ويدعون بها يوم القيامة ويُبشرون بالجنة، ويقال لهم كما قال تعالى: (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي)(الفجر:27 – 30). فلا ترجع النفوس إلى ربها إلا إذا كانت مطمئنة، فتدخل في رحمته وعبادته وتدخل جنته[97].

وتلك الطمأنينة التي في قلوب المؤمنين تنبعث من "إحساسهم بالصلة بالله، والأنس بجواره، والأمن في جنابه وفي حماه، تطمئن من قلق الوحدة، وحيرة الطريق، بإدراك الحكمة من الخلق، والمبدأ والمصير، وتطمئن بالشعور بالحماية من كل اعتداء، ومن كل ضر، ومن كل شر إلا بما يشاء مع الرضى بالابتلاء، والصبر على البلاء، وتطمئن برحمته في الهداية والرزق والستر في الدنيا والآخرة"[98]، فالقلب المطمئن هو الذي انشرح للإيمان وركن إليه، وارتاح واستأنس به، قد أدرك من الأدلة المشاهدة والمتلوة على ما يتطلب الإيمان التصديق به ما أكسبه اليقين، وهو الذي يأنس ويرتاح لذكر الله. ويثبت عنده كامل الاعتقاد بوجوب الالتجاء التام، والاعتراف العام لله لا سواه. فالمؤمن إذا استقر حب الله في قلبه يكون ممتثلاً لأوامره تعالى، مجتنباً لكل ما نهى عنه، فبهذه العبادة ينمو الإيمان في قلب العبد الذي هو مصدر سعادته، وغذاء روحه وقوته، وصلاحه في الدنيا والآخرة، ومبعث طمأنينته[99].

والقلوب المؤمنة تسكن وتستأنس بذكر الله عز وجل، قال تعال: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد:28)، قال الشيخ السعدي –رحمه الله– في تفسير هذه الآية: "أي يزول قلقها واضطرابها وتحضرها أفراحها ولذاتها"[(100)].

وفي هذا المطلب سنوضح أثر الدلالات العقدية الواردة في حديث سيد الاستغفار على طمأنينة قلب المسلم في الفروع الآتية:

الفرع الأول: أثر الإيمان بتوحيد الربوبية على طمأنينة قلب المسلم

إن بداية الاهتداء تكون بتطهير القلب من العقائد الفاسدة، والظنون السيئة وما يتبع ذلك من النيات والعواطف، ومعلوم أن العلم هو المؤثر الأهم في تحقيق هذا الغرض. والعلم الذي يتم به حصول المراد هو علم التوحيد المتعلق بمعرفة الله عز وجل في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. وهو الذي يتحصل عليه المسلم بدراسة ما ورد في القرآن الكريم وأحاديث خاتم المرسلين ﷺ، وفق منهج السلف الصالح، مستمسكاً بالإيمان التام بذلك وكل ما يتصل به، بعيداً عن مناهج الانحراف والضلال. فالإيمان الصادق من العبد بربوبية الله عز وجل، ومعرفته بأنه سبحانه الخالق المالك المدبر، وإفراد الله تعالى بأفعاله، كلها لها أثر كبير على تزكية النفس وطمأنينة القلب. ويكون ذلك كالآتي:-

أولاً: أن الاعتراف التام من العبد بأن الله هو الخالق يكون له أثر كبير على طمأنينة القلب وتحصينه، فإذا اطمأن القلب كان بعد ذلك حصناً حصيناً يستعصي على الشياطين؛ لأن القلب الثابت لا سبيل إلى زعزته؛ لأنه في رعاية الله وحفظه.

ثانياً: أن الاعتراف التام بربوبية الله –عز وجل– يدفع العبد إلى امتثال أوامره واجتناب نواهيه، وعند ذلك يكون له أثر كبير على طمأنينة القلب، بما ثبت عنده من إيمان ويقين خالصين لله -عز وجل-، وأنه هو من يستجيب الدعاء، وهو النافع والضار.

ثالثاً: الاعتراف بالعبودية كاملة له -عزوجل– فالعبودية العامة والعبودية الخاصة لهما أثر كبير على طمأنينة قلب المسلم، إذ يستقيم على طريق الله -عزوجل-، ويجعل أوامر الله ونواهيه نصب عينيه؛ لأنه اعترف بأنه عبد، والله هو من يستحق العبادة وحده دون سواه.

وخلاصة القول: أن الإيمان بتوحيد الربوبية، وإفراد الله بأفعاله سبحانه، له أثر كبير على طمأنينة قلب العبد المسلم فيصلح حاله وشأنه في الدنيا والآخرة.

الفرع الثاني: أثر الإيمان بتوحيد الألوهية على طمأنينة قلب المسلم

إن شعور المسلم بأن لسعيه وكدحه غاية واحدة، وهي وجه الله -عزوجل- وابتغاء مرضاته وحده، وبأن السعي يتم وفق شريعة محددة شاملة واضحة، جاءت من معبوده الذي أسلم له وجهه، وتعلقت به غايته يثمر آثاراً عظيمة في طمأنينة القلب، من أهمها:

أولاً: إحساسه أن لحياته معنى وقيمة، ولعيشه طعماً، وأنه لم يخلق عبثاً ولن يترك سدى. فهولا يعيش في ظلام، ولا يخبط خبط عشواء، بل يسير على هدى من ربه، وبينة من أمره، واستبانة لمصيره، بعد أن عرف الله وأقر له بالوحدانية[101]. فالله الذي خلقة ويدبر أمره، منه وحده يستمد منهجه، وهو الذي يميته ويبعثه، ويغفر ذنوبه ويرحمه، وبيده وحده مصيره يوم القيامة. وله وحده سعيه وكدحه، ومنه وحده يرجو الجزاء عليه، (قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَاي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) (الأنعام:162 163). وقال تعالى: (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)(البقرة: 112). فيا لله كم يشعر الإنسان بالبهجة والغبطة والرضى وهو يشعر أن لوجوده معنى سامياً وغرضاً نبيلاً، ويطمع في ثمرة طيبة لهذا السعي في الدنيا والآخرة.

ثانياً: سلامة النفس من التمزق والصراع الداخلي، والتوزع والانقسام بين سائر الغايات وشتى الاتجاهات[102]."ولقد اختصر الإسلام غايات الإنسان في غاية واحدة، هي إرضاء الله تعالى. وركز همومه في هم واحد هو العمل على ما يرضيه سبحانه، ولا يريح النفس الإنسانية شيء كما يريحها وحدة غايتها ووجهتها في الحياة، فتعرف من أين تبدأ وإلى أين تسير وفي أي اتجاه تمضي.

ولا يُشقي الإنسان شيء مثل تناقض غاياته، وتباين اتجاهاته، وتضارب نزعاته... فهو حينا يُشرق وحيناً يُغرب، وتارة يتجه يميناً، وطوراً يتجه يساراً، ومرة يرضي هذا، فيغضب ذلك، وهو في كلا الحالين حائر بين رضا هذا و غضب ذاك"[103].

وقد أشار الله إلى هذا الأثر الذي يحدثه التوحيد الخالص في نفس الموحد من الاستقرار والطمأنينة، وضده من الشرك، وما ينتج عنه من تشتيت النفس واضطرابها. فقال تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ)(الزمر:29). ففي هذه الآية ضرب الله مثلاً للكافر الذي يعبد آلهة شتى، ويطيع جماعة من الشياطين، والمؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد[104].

وحول هذه الآية يقول سيد قطب –رحمه الله-: "يضرب الله المثل للعبد الموحد والعبد المشرك بعبد يملكه شركاء يخاصم بعضهم بعضاً فيه، وهو بينهم موزع، ولكل منهم فيه توجيه، ولكل منهم عليه تكليف، وهو بينهم حائر لا يستقر على نهج، ولا يستقيم على طريق، ولا يملك أن يرضي أهواءهم المتنازعة المتشاكسة المتعارضة التي تمزق اتجاهاته وقواه، وعبد يملكه سيد واحد، وهو يعلم ما يطلبه، ويكلفه به، فهو مستريح مستقر على منهج واحد صريح... (هل يستويان مثلاً)، إنهما لا يستويان، فالذي يخضع لسيد واحد ينعم براحة الاستقامة والمعرفة واليقين، وتجمع الطاقة ووحدة الاتجاه، ووضوح الطريق. والذي يخضع لسادة متشاكسين معذب مقلقل لا يستقر على حال، ولا يرضي واحداً منهم، فضلاً عن أن يرضي الجميع.

وهذا المثل يصور حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك في جميع الأحوال. فالقلب المؤمن بحقيقة التوحيد هو القلب الذي يقطع الرحلة على هذه الأرض على هدى، ولأنه يعرف مصدراً واحداً للحياة والقوة والرزق، ومصدراً واحداً للنفع والضر، ومصدراً واحداً للمنح والمنع؛ فتستقيم خطاه إلى هذا المصدر الواحد، يستمد منه وحده، ويعلق يديه بحبل واحد، يشد عروته ويطمئن اتجاهه إلى هدف واحد لا يزوغ عنه بصره، ويخدم سيداً واحداً يعرف ماذا يرضيه فيفعل، وماذا يغضبه فيتقيه، وبذلك تتجمع طاقاته كذلك وتتوحد، فينتج بكل طاقته وجهده وهو ثابت القدمين على الأرض متطلع إلى إله واحد في السماء. ويعقب على المثل الناطق الموحي بالحمد لله

الذي اختار لعباده الراحة والأمن والطمأنينة والاستقامة والاستقرار وهم مع ذلك ينحرفون، وأكثرهم لا يعلمون"[105].

ثالثاً: إن عقيدة التوحيد الخالص لها أثر في طمأنينة القلب فتجعل العبد معتصماً بالله مهتديا إلى صراط الله المستقيم. فعقيدة التوحيد التي منحت المسلم الرضى بالله ربا ومعبوداً. عليه يتوكل وإليه ينيب، وفي فضله يطمع، ومن قُوتَّه يستمد، وله يتودد، وإليه يحتكم، جعلت منه معتصماً بالله مهتدياً إلى صراطه المستقيم. قال تعالى: (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)(آل عمران:101). والاعتصام بالله يكون بإفراده -سبحانه وتعالى- بالعبودية والتوكل والدعاء والاستعانة، كما أنه يجلب للقلب الاستقرار والطمأنينة.

- فالإيمان بتوحيد الألوهيه له آثار عظيمة على طمأنينة قلب العبد المسلم، بما في ذلك الاعتصام بالله -عز وجل-.

قال الإمام ابن القيم –رحمه الله– مبينا ثمرة الاعتصام بالله -عز وجل- "هو الدفع عن العبد –والله يدافع عن الذين آمنوا– فيدفع عنه الشبهات والشهوات وكيد عدوه الظاهر والباطن، وشر نفسه، ويدفع موجب أسباب الشر بعد انعقادها، بحسب قوة الاعتصام به وتمكنه"[106].

الفرع الثالث: أثر الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات على طمأنينة قلب المسلم

إن الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات والاعتراف التام من العبد بذلك له أثر بالغ عظيم في طمأنينة قلب العبد المسلم. فالعلم بأسماء الله وصفاته، وتدبرها، وفهمها على مراد الله أهم العلوم وأشرفها، لما يثمره من الثمرات العظيمة النافعة المفيدة، ولقد اعتنى علماء الإسلام -قديماً وحديثاً– ببيان أسماء الله وصفاته وشرحها، وإيضاحها وبيان ثمراتها.

ومن ثمرات توحيد الأسماء والصفات ما يأتي:

أولاً: استشعار القلب لمعاني الأسماء والصفات يجعله مطمئناً بذلك. فيكون توجهه والتجاؤه وكل تصرفاته وحركاته وسكناته إلى الله -عز وجل-، ويكون ذلك بطرد جميع الظنون السيئة والشكوك

من قلب العبد، ويكون دافعاً إلى الاهتمام بدراسة توحيد الأسماء والصفات، وفق نهج السلف الصالح واستشعار القلب لها. فإدراك العبد لمعاني أسماء الله سبحانه يوجب له ثقة واطمئناناً إلى أن أمره ومصيره وما يجري عليه بيد ملك مدبر عليم حكيم خبير، فيزول عنه كابوس الخوف والقلق من المستقبل المجهول الذي ينخر قلوب الكافرين الجاهلين بربهم، ومن تغلغلت الشكوك والظنون السيئة بربهم، قال تعالى"(وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (النحل:60).

ثانياً: إن معرفة الله بأسمائه وأفعاله وصفاته تخصب القلب بالخير في عقائده، وعواطفه وإراداته.

ثالثاً: إن معرفة الله بأسمائه وأفعاله وصفاته عامل مهم في توازن القلب واستقراره، وكلما كانت معرفته أكمل كان حظه من ذلك أكبر.

رابعاً: إن لكل اسم من أسماء الله –تعالى- عبودية خاصة وأثراً معيناً في القلب والفكر والسلوك، فأما العبودية الخاصة: فتكون بإثبات الاسم لله تعالى، والاعتقاد بأن الله متصف بما دل عليه من الصفة، وقيام العواطف المناسبة في القلب، ثم دعاؤه والثناء عليه به بالحال التي تتناسب مع ما دل عليه من المعاني. فإذا كانت حال الداعي طلب مغفرة ورحمة دعاه باسمه (الغفور الرحيم)، وإذا كانت حاله استشعار الرحمة وفيض النعمة أثنى عليه بالجواد الكريم المعطي المنعم[107].

وأما أثر الأسماء: فكل اسم له أثر خاص يتناسب مع ما يدل عليه من المعنى والصفة. فإن اثبات الاسم لله تعالى والاعتقاد بأنه متصف بالصفة التي دل عليها يحدث أثراً في القلب.

فالقلب باستشعاره لمعنى الصفة يتفاعل ويتجاوب مع ذلك المعنى ويتأثر به، وينبعث لموجبه، محبةً أو خوفاً، رغبة أو رهبة، تعظيماً أو إجلالاً، توكلاً أو رجاء.

إن ذلك الانفعال في القلب الناتج عن الاعتقاد، له تأثير على العواطف والإرادات والتفكير ومن ثم على السلوك، ولكل اسم من أسماء الله معنى خاص، ولا تزال معاني الأسماء والصفات تتوارد على القلب وتحدث فيه تأثيراً مناسباً لكل منها؛ حتى تصبح فيه معرفة متكاملة لربه سبحانه وتعالى وأثراً متكاملاً يخصب فيه توازن مستفاد من استشعار جميع أو أغلب الصفات التي وردت

في الكتاب والسنة، فبقدر معرفته بذلك تحصل الطمأنينة والشعور بالثقة والأمن، وبفقد ذلك يفقد العبد طمأنينة قلبه وتوازنه.

خامساً: إن لمعرفة أسماء الله تعالى وصفاته أثراً مهماً في طمأنينة القلب وتوكله وركونه إلى ربه، وتسليمه لشرعه، راضياً بقدره، واثقاً بعدله وحكمته، مطمئناً إلى عفوه ومغفرته عند زلته وتوبته[108].

سادساً: إن لمعرفة أسماء الله وصفاته أثراً على طمأنينة القلب بما يوجد فيه من محبة الله وخشيته وخوفه ورجائه وإخلاص العمل له وحده لا شريك له، وبما يحصل في القلب من تعظيم وإجلالٍ له سبحانه وافتقار، واضطرارٍ والتفاتٍ إليه سبحانه في كل وقت وحال.

سابعاً: إن لمعرفة أسماء الله وصفاته أثراً عظيماً على طمأنينة القلب بما يحصل عنده من كره المعصية والابتعاد عنها، وإن وقع فيها فيستشعر آثار رحمة الله عليه؛ فيلجأ إليه بالتوبة والاستغفار، وتنفتح له أبواب الأمل.

ثامناً: إن لمعرفة أسماء الله وصفاته أثراً على القلب بإيجاد الثقة واستشعار القوة بما هو عليه من الحق، فيثمر له الشجاعة وعبودية التوكل على الله ظاهراً وباطناً.

تاسعاً: إن لمعرفة أسماء الله وصفاته أثراً على القلب بما يوجد فيه من اليقين الصادق بأن الأمور كلها بيد الله سبحانه، وأنه مقدر كل شيء؛ فيزداد إيماناً بقدر الله عز وجل. فكل ما يصيبه في الدنيا من مصائب وآلام يستسلم فيها لقدر الله عز وجل؛ فيولد عنده صبراً وثباتاً ويقيناً بأن الله على كل شيء قدير.

وخلاصة القول فيما تقدم:

أن أثر الإيمان بأنواع التوحيد الثلاثة (الربوبية والألوهية والأسماء والصفات) كبير في تطهير قلب العبد المسلم وطمأنينته وحصول اليقين التام بذلك، وفق ما دل عليه كتاب ربنا وسنة نبينا محمد ﷺ، فيندفع العبد المؤمن بهمة وعزيمة لإقامة أركان الإسلام والإيمان، والالتزام بذلك قولاً وعملاً واعتقاداً. فالإيمان بأنواع التوحيد، والإيمان بشرائع الإسلام عملاً وتنفيذاً، يزيدان في

الإيمان الذي هو مادة الخير في القلب، والذي إذا تمكن أخرج ما يضاده من خصال الكفر والنفاق، وأظهر الطمأنينة في القلب والانشراح في الصدر. قال الله تعالى:(كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)(يوسف:24). وقال تعالى: (مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ)(ق:33).

الفرع الرابع: أثر الإيمان بالعبودية المطلقة لله عز وجل على طمأنينة قلب المسلم

سبق أن ذكرنا أقسام العبودية من حيث العموم والخصوص، وأنها تنقسم إلى قسمين:

الأول: عبودية عامة قسرية.

الثاني: عبودية خاصة اختيارية.

والإيمان بالعبودية المطلقة لله -عز وجل- له أثر عظيم على طمأنينة قلب المسلم، فسعي الإنسان وفق معرفة حقيقية بهذه العبودية، وتحقق ذلك بإخلاص، واستسلام مطلق له في كل شؤون الحياة من المقاصد والوسائل والغايات، يكون عاملاً مؤثراً في حصول السكينة وسلامة النفس من الصراع والتشتت والقلق.

وذلك كله يجعل القلب غنياً بدينه مطمئناً به وإليه، بعيداً كل البعد عما يضاده من الأفكار والمبادئ الهدامة وعبودية غير الله -عز وجل-.

فالإيمان بالعبودية المطلقة لله -عز وجل- كفيل بإشباع القلب وإرواء النفس. قال الإمام ابن القيم –رحمه الله– "ففي القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته"[109].

الفرع الخامس: أثر الالتزام بالعهد والوعد لله عز وجل على طمأنينة قلب المسلم

إن لقول العبد المسلم في حديث سيد الاستغفار: "وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت"، مدلولات عقدية عظيمة، عند التزام العبد بها يكون من الصادقين؛ لأن ذلك تجسيد عملي للصدق. قال تعالى (وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا)(البقرة:177).

- فالعهد يشمل بعمومه العهد الإيماني الذي يعاهد المسلمون الله عليه، من التزام مدلول الشهادتين باتباع الوحيين، وما يعاهد الناس بعضهم بعضاً عليه، والالتزام بذلك له أثر عظيم على طمأنينة قلب المسلم. فاللفظ يقتضي الإيفاء بالعهد ونفاذ الوعد، فإذا تم ذلك كان العبد منقاداً مطيعاً لله عز وجل مطمئن القلب.

- كما أن جمع العبد بين العلم بما نزل من الوحي، والعمل به، والاستقامة على ذلك يثمر له طمأنينة القلب، وسعادته في الدنيا والآخرة.

- إن دوام ذكر العبد لله عز وجل والالتزام بأوامره ونواهيه قدر استطاعته مع الجد والمثابرة، وعدم التقصير والتساهل في ذلك سبب قوي في طمأنينة قلب العبد المسلم وانشراح صدره، فإذا عمر القلب بالإيمان وتغذى من الوحي المطهر، والتزم بعهد الله وأيقن بوعده، وانصبغت عقائده وعواطفه وانفعالاته وإراداته بالعلوم المستقاة منه، واستغنى عما سوى ذلك. وعظم انفكاكه وابتعاده عن أفكار الجاهلية وأعمالها.

الفرع السادس: أثر اليقين التام على طمأنينة قلب المسلم

لا شك أن التزام العبد بشرع الله قولاً وعملاً، وانقياده لذلك أمراً ونهياً. ويقينه بكل ما ورد في حديث "سيد الاستغفار"، واتباع ذلك عملاً، له أثر بالغ على طمأنينة قلبه، فاليقين التام له أثر باطن في طمأنينة قلب المسلم، وأثر ظاهر في حياة الفرد والمجتمع، كما يأتي:

أولاً: الأثر الظاهر في حياة الفرد

إذا عرف الفرد المسلم أن الإيمان مركب من قول وعمل واعتقاد كان بعد ذلك حريصاً على القيام بما يجب لتنفيذ ذلك بيقين تام، بحيث يصبح بعد ذلك ملازماً لذكر الله تعالى، ولاستغفاره عند ارتكاب الذنب، ويحرص على عمل الطاعات، والمسارعة إليها، والإكثار منها، ليزيد يقينه وإيمانه ويكمل، ويرفعه ذلك يوم القيامة ويجعله في المنازل العليا في الجنة والنعيم المقيم. كما يحرص على مجانبة المعاصي وكل ما يغضب الله عز وجل أو يكون سبباً للعقوبة في الدنيا والآخرة.

ثانيا: الأثر الظاهر في حياة المجتمع

مما لا شك فيه أنه إذا صلح الفرد المسلم صلح بذلك المجتمع، لأن المجتمع إنما هو مجموعة أفراد، فالناظر مثلاً إلى عصر القرون المفضلة عندما صلحوا في أنفسهم يرى كيف أصلحوا الأرض جميعاً، ووسعوا الناس بأخلاقهم بعد أن كانوا أجفى الناس، وشملوهم بالعطف عليهم رغبة في إنقاذهم وإنارة الحق لهم، وما هذا كله إلا أثر ظاهر لليقين التام عند العبد المسلم، فبصلاح الفرد يصلح المجتمع، ويتمسك بالعقيدة الإيمانية الحقة. فاليقين التام له أثر على طمأنينة قلب المسلم بما يجده في اعتقاده الصحيح، وظهور ذلك في القول والعمل، وبما يجده من الاستقامة على طاعته سبحانه، وتطهير القلب من العقائد الباطلة والظنون السيئة وتطهيرها من الران ودرن المعاصي.

الخاتمة:

أ- النتائج

أولاً: أن الأمة الإسلامية في حاجة ماسة إلى هدي النبي ﷺ والتمسك به عقيدة وشريعة؛ لإخراجها من الضلال والشقاء إلى الهدى والسعادة والنور، وهذا لا يكون إلا باتباع الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة والبحث عن الاعتقاد الصحيح، اعتقاد الرسول، وأصحابه الكرام، وأئمة الهدى.

ثانياً: أهمية التمسك بالألفاظ الشرعية المعروفة من لغة الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

ثالثاً: أن سنة النبي ﷺ فيها كثير من الأحاديث المشتملة على جوامع الكلم، ومنها حديث "سيد الاستغفار" الذي تعرض هذا البحث لدراسته وبيان معاني ألفاظه ومدلولاتها العقدية، وآثارها في حياة الفرد والمجتمع.

رابعاً: أن النبي ﷺ أعطي جوامع الكلم، وحديث "سيد الاستغفار" دلالة ظاهرة على ذلك.

خامساً: أن حديث "سيد الاستغفار" تضمن عدداً من الدلالات العقدية المتمثلة في الآتي:

1- إثبات توحيد الربوبية.

2- إثبات توحيد الألوهية (توحيد العبادة).

3- إثبات توحيد الأسماء والصفات.

4- إثبات العبودية المطلقة لله -عز وجل- وحده لا سواه.

5- الإقرار بالعهد المأخوذ على العباد من الله، والوعد من العبد بفعل ما أمر به واجتناب ما نُهي عنه، ووعد الله بإنفاذ ما وعد للعبد من خير وجزاء عند توفر الشروط وانتفاء الموانع، وأهمية العلاقة بين الوعد والعهد.

6- الاعتراف بقصور العبد وعدم إكمال الأمر وإتمامه، فكان شرط الاستطاعة أمراً متمثلاً في طبيعة المكلفين، وعدم استطاعتهم بإكمال الشيء المأمور به، أو المنهي عنه إكمالاً مطلقاً، وأن القصور من طبيعة البشر.

7- الاعتراف التام من العبد بنعم الله -عز وجل-، والالتجاء التام إلى الله من شر الأعمال والاستغفار من الذنوب والمعاصي. فطلب العبد ورجاؤه من الله العفو والمغفرة يُعد اعترافاً بأن الله هو وحده صاحب المغفرة والعفو دون سواه، وهذا داخل في معنى العبودية الحقة، التي يستحقها الله وحده دون سواه. وما يجنيه العبد من اليقين التام عند القول به، واستشعار ذلك وزيادة الإيمان في قلبه.

8- إن لليقين التام بالحديث ومدلولاته العقدية أثراً كبيراً وعظيماً على طمأنينة قلب المسلم. فالإيمان التام بالدلالات العقدية الواردة في هذا الحديث له أثر كبير وعظيم على طمأنينة قلب العبد المسلم؛ فيصلح حاله وشأنه في الدنيا والآخرة.

9- إن طمأنينة قلب العبد المسلم مرتبطة بطاعة الله عز وجل، والتقرب إليه وسلوك سبيله، وعدم الانحراف عن الصراط المستقيم، وعدم الإعراض عن ذكر الله عز وجل، فالمعلوم أن القلب هو موضع الإيمان، قال تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى...)(طه: 124).

ثانياً: التوصيات

1- ضرورة الاهتمام ببحث القضايا العقدية، وتأصيلها انطلاقاً من مصدرها الوحيد المتمثل في الوحي (الكتاب والسنة)، وكذا فهم سلف الأمة الصالح.

2- ربط القضايا العقدية بالواقع المعاصر ونوازله، ثم توجيهها التوجيه الصحيح، من منظور الهدى النبوي.

3- أوصي الباحثين في القضايا العقدية بالاعتناء بدراستها وبيان الاتجاهات المنحرفة عنها، وبيان المنهج الحق في المسائل العقدية وما يجب اتباعه.

4- ضرورة تفعيل دور المراكز العلمية والجامعات والمعاهد الشرعية في تدريس مادة العقيدة الصحيحة، وبيان وسائل أهل الباطل وشبهاتهم في تضليل الناس عن الحق.

5- الاهتمام بدراسة الأحاديث النبوية المتعلقة بمسائل العقائد، دراسة وبحثاً ونظراً وتأملاً، والدعوة إلى المزيد من الدراسات المتخصصة تنظيراً وتطبيقاً، وشحذ الهمم والنفوس لذلك، والاستفادة منها في الدعوة والتربية والإصلاح المجتمعي.

الهوامش والإحالات:

1- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، د. ط، (1399هـ - 1979م)، (259/2).

2- إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، مادة (دلل)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 4، 1990م، (1698/4).

3- ابن منظور، لسان العرب، مادة (دلل)، دار الحديث، القاهرة، مصر، د. ط، (1427هـ - 2006م) (399/1 فما بعدها).

4- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (دلل)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 6، 1998م، (ص1000).

5- الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، د. ط (ص171).

6- المصدر السابق، (ص171).

7- محمد بن علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: د. رفيق العجم وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، 1996م، (787/1).

8- شمس الدين محمود بن عبد الرحمن الأصبهاني، شرح مختصر ابن الحاجب، تحقيق: د. علي جمعة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، (1409هـ - 2004م)، (120/1).

9- بدر الدين الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق: لجنة من علماء الأزهر، دار الكتبي، القاهرة، مصر، ط 3، (1424هـ - 2005م)، (68/2).

10- ابن النجار، شرح الكوكب المنير، تحقيق: د. محمد الزحيلي ود. نزيه حماد، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط 2، (1418هـ - 1998م)، وينظر: الجرجاني، التعريفات، (ص93)، ط الحلبي، القاهرة، مصر، (1357هـ - 1938م)، (125/1).

11- ينظر: ابن حزم، الإحكام من أصول الأحكام، دار الحديث، القاهرة، مصر، د. ط، 1404هـ، والكلوذاني، التمهيد من أصول الفقه، دراسة وتحقيق: د. مفيد محمد أبو عمشة (61/1)، جامعة أم القرى، ط 1، (1406هـ - 1985م)، (41/1).

12- ينظر: ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى، ط 1423هـ، (ص27).

13- ينظر: الكلوذاني، التمهيد في أصول الفقه، والخليل بن أحمد الفراهيدي، (61/1)، والعين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان د. ط (8/8).

14- ينظر: دلدار غفور حمد أمين، البحث الدلالي في المعجمات الفقهية المتخصصة، دار دجلة، عمان، الأردن، ط 1، 2007م، (ص132).

15- عبد الفتاح البركاوي، في الدلالة اللغوية، ط 2، 1423هـ، 2002م، (ص28)، أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د. ط، (ص11).

16- رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، ح 2849، (28/4).

17- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون مادة (عقد) (86/4)، ابن منظور، لسان العرب، مادة (عقد)، (3031/4)، ومختار الصحاح للرازي مادة (عقد)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت (510/2).

18- عمر سليمان الأشقر، العقيدة في الله، (ص11).

19- محمد بن أحمد السفاريني، لوامع الأنوار البهية، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، سوريا، ط 2، (1402هـ، 1982م)، (5/1).

20- المصدر السابق، (5/1).

21- أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، دار الفكر، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت (ص23).

22- ينظر: حسن مقبولي الأهدل، مصطلح الحديث ورجاله، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، اليمن، ط 7 (1425هـ - 2004م)، (ص11، 12)، ابن عثيمين، مصطلح الحديث، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، ط1، 1424هـ، (ص9).

23- ابن منظور، لسان العرب، مادة (غفر)، (25/5).

24- الجرجاني، ينظر التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1،1983م، (ص18).

25- ينظر: محمد رواسي قلعجي، وحامد قنيبي، معجم لغة الفقهاء، بتصرف، دار النفائس، عمان، الأردن، ط2، 1988م، (ص275).

26- رواه البخاري: كتاب الدعوات، برقم (6306، 6323).

27- رواه البخاري: كتاب الدعوات، برقم (6323).

28- رواه الترمذي كتاب الدعوات برقم (3393)، (400/5).

29- التعريفات، للجرجاني، (ص9).

30- ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن، د. ط، د. ت (ص374).

31- ابن منظور، لسان العرب، (399/1- 400).

32- رواه أحمد في مسنده برقم (2763)، والترمذي برقم (2516)، والمستدرك، برقم (6303) وهو في صحيح الجامع للألباني برقم (13917).

33- ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، (ص183).

34- رواه ابن حبان في صحيحه برقم (276، 277، 278، 354)، وذكر الترمذي نحوه برقم (2414)، وحسنه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح (480/4).

35- ينظر: عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض-السعودية- د. ط، 1404هـ، (288/1).

36- رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس. (53/1) برقم23.

37- الشوكاني، فتح القدير، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د. ط، (ج92/5).

38- رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب اسم الفرس والحمار (58/6 الفتح) برقم 2856، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (58/1) برقم 30.

39- سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 3، 1397هـ، (ص36).

40- ابن رجب الحنبلي، كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، ط 5، 1399هـ، (ص21).

41- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق عبد العزيز غنيم وآخرون، دار الشعب، القاهرة، مصر، د. ط، (392/6).

42- سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد، (ص525).

43- ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير سورة يوسف (الآية 108)، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، مصر، د. ط، (ج79/13، 80).

44- وقد نظمها بعضهم في بيتين هما:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع محبة وانقياد والقبـول لـها.

وزيد ثامنها الكفران، منك، بما سوى الإله من الأتباع قد أُلها.

45- ينظر: حافظ بن أحمد الحكمي، أعلام السنة المنشورة، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، (1418هـ - 1998م)، (ص56)، وعبد العزيز السلمان، الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، ط 12، (1418هـ - 1997م)، (ص41، 42)، عبد الرحمن السعدي، القول السديد في مقاصد التوحيد، طبع ونشر الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء في الرياض، د. ط، 1404هـ، (10/3).

46- ينظر: محمد بن إبراهيم الحمد، رسائل في العقيدة، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1 (1418- 1997م)، (ص148).

47- ينظر: ابن القيم، مفتاح دار السعادة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط، (178/1).

48- ينظر: ابن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، عند تفسير سورة مريم (الآية 93) (ج132/16)، البغوي، معالم التنزيل، تحقيق خالد العك، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 2، (210/3)، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق محمد زعلول، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 1، (185/5)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، (ج 106/11).

49- الفخر الرازي، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، المطبعة البهية المصرية، القاهرة، د. ط، (ج255/21)، وينظر: الزمخشري، الكشاف، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، د. ط، (48/3)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د. ط، 1401هـ، (139/3).

50- أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، د. ط، (283/5).

51- إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تخريج عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، د. ط، (559/4)، وينظر: البغوي، معالم التنزيل، تحقيق خالد العك (210/3).

52- ابن القيم، مدارج السالكين، تحقيق: الداني آل زهوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط 1، (88/1).

53- ابن جرير الطبري، جامع البيان، عند تفسير سورة الروم (الآية 26)، (507/1)، وينظر: (ج35/21)، الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط 1، (198/1، 183/4)، عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، د. ط، (102/1)، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، لبنان، د. ط (1993م)، (270/1)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، عند تفسير سورة الروم (الآية 26)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د. ط (160/1).

54- ابن القيم، مدارج السالكين، بتصرف يسير، المكتبة العصرية، (90/1)، وينظر: عبد العزيز السلمان، الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، ط 11 (1402هـ - 1982م)، (ص641، 642).

55- ابن تيمية، كتاب العبودية، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الوقفية المصورة، د. ط، (1426هـ-2005).

56- ابن القيم، مدارج السالكين، المكتبة العصرية، (89/1).

57- ينظر: ابن القيم، طريق الهجرتين، تحقيق أبي حفص سيد بن عمران، دار الحديث، القاهرة، مصر، د. ط، (1426هـ)، (281، 282)، وابن القيم، إغاثة اللهفان، تحقيق محمد سيد عيلاني، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، حلب، سوريا، القاهرة، مصر، د. ط، (136/2).

58- ابن منظور، لسان العرب مادة (عهد)، (305/4).

59- الراغب الأصفهاني، المفردات، تحقيق: صفوان عدنان دار القلم، دمشق، سوريا، بيروت، لبنان، ط 1، (1412هـ، 1992م)، (ص 591).

60- حسين أمين مصري، الوفاء بالعهد في القرآن، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، (1407، 1987م)، (ص65).

61- ينظر: مذكر محمد عارف، الصدق في القرآن الكريم، مكتبة الرشد، الرياض، ط 1، (1419هـ،1998م)، (ص250، 251).

62- رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام برقم(38)، والترمذي: برقم(2410).

63- ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون (125/6).

64- ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات، تحقيق صفوان عدنان، (ص875).

65- ينظر: مذكر محمد عارف، الصدق في القرآن الكريم، (ص251).

66- أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (124/8).

67- عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، وبيروت، ط 1 (1413هـ، 1992م)، (502/1).

68- ينظر: مذكر محمد عارف، الصدق في القرآن الكريم، (ص214).

69- رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه، (1272/3)،برقم (1651، 1716، 3123)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

70- عبد الرحمن حبنكه الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، (503/1).

71- رواه البخاري: برقم(7288)، ومسلم: برقم(2359) في حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

72- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (348/1) في تفسير (الآية 8) من سورة آل عمران، وينظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري (187/3)، والبغوي، معالم التنزيل (281/1)، والفخر الرازي، التفسير الكبير، مفاتيح الغيب (192/7).

73- رواه أبو داود: كتاب: الأدب، باب ما يقول إذا أصبح (311/5) برقم (5067) واللفظ له، والترمذي بنحوه في كتاب: الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى،(467/5)، برقم (3392)، وقال هذا حديث حسن صحيح، وينظر: الألباني، صحيح الترمذي برقم (3632)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد للبخاري، (ص441، 442)، وينظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، (ص524، 525).

74- رواه البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب: صفة إبليس وجنوده، (1195/3) برقم (3059)، (3281) واللفظ له، ومسلم كتاب: السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رؤى خالياً بامرأة (1712/2) برقم (4048)، (2177) من حديث صفية بنت حيي - رضي الله عنها.

75- سيد قطب، في ظلال القرآن، بتصرف، دار الشروق، بيروت، لبنان، د. ط، (1393هـ، 1972م)، (2088/4، 2089).

76- رواه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله، ليغفر لك الله ما تقدم...، (1830/4-الفتح) برقم (4557)، ومسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب، إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، (2172/4) برقم(2820).

77- رواه البخاري: في الأدب المفرد، (ص178) برقم (690)، وابو داود: كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، (181،180/2) برقم(1522) والنسائي، كتاب: السهو، باب: نوع آخر من الدعاء، (53/3) برقم(1303)، وأحمد في مسنده "مسند الأنصار" (247/5)، وبتحقيق أحمد شاكر برقم (21613،21547)، والحديث صحيح ينظر: النووي، كتاب الأذكار، تحقيق سليم الهلالي، (206/1)، والألباني، صحيح سنن ابي داود برقم (1522)، والألباني، صحيح النسائي برقم (856).

78- ينظر: ابن القيم، الفوائد، تحقيق ماهر عبد الرازق وآخر، دار اليقين، المنصورة، مصر، ط 2، (1418هـ، 1997م)، (ص164، 165).

79- ينظر: ابن القيم، تهذيب مدارج السالكين، تهذيب: عبد المنعم صالح العلي العزي، وزارة العدل والشؤون الاسلامية والأوقاف، الإمارات، د. ط، (ص384)، والراغب الأصفهاني، المفردات، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (ص461)، والراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: أبي اليزيد العجمي، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، مصر، ط 2 (1408هـ - 1987م)، (ص279).

80- رواه البخاري، (434/7 - الفتح) برقم (2661، 4141)، ومسلم، (111/7- النووي) برقم (4974)، وأحمد في مسنده (196/6).

81- رواه الحاكم في مستدركه في كتاب الجهاد برقم (2527)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وينظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (1653).

82- سليم بن عيد الهلالي، النبذ المستطابة في الدعوات المستجابة، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، ط 1، (1413هـ، 1993م)، (ص31، 32).

83- ينظر: ابن تيمية، جامع الرسائل، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار المدني، جدة، السعودية، ط 2، 1405هـ (116/1)، ابن القيم، طريق الهجرتين، (ص170).

84- ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد، بتصرف، توزيع مكتبة المتنبي، دار الرحمة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د. ط،(696/11، 697).

85- رواه أحمد في مسنده، (271/4) برقم (18415)، والترمذي، (211/5) برقم (2969)، وقال: حسن صحيح.

86- عبد العزيز الراجحي، شرح الأصول الثلاثة، بتصرف يسير، مدار الوطن للنشر، الرياض، السعودية، ط 1، (1431هـ - 2010م)، (ص45، 46).

87- رواه الترمذي، (456/5) برقم (3373)، وقال الألباني الحديث حسن، ينظر: الصحيحة برقم (2654).

88- ينظر: عبد العزيز الراجحي، شرح الأصول الثلاثة، (ص50).

89- ابن القيم، مدارج السالكين، (221/1، 222).

90- نكتة: أي أثر قليل كالنقطة، ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 3، (1399هـ، 1979م)، (114/5).

91- نزع: أي كف وأقلع وانتهى عن الذنب، ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي (41/5).

92- صقل: صقل الشيء، صقلاً، وصقالا: أي جلاه ونظفه وأزال ما عليه من وسخ أو سواد، ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: د. محمد عوض، ص(547)، ولسان العرب، لابن منظور، (2473/4)، مادة: صقل.

93- رواه الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة ويل للمطففين، (434/5) برقم (3278، 3334)، وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجة، واللفظ له: كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، (1418/2) برقم (4242، 4244)، وأحمد في المسند، (297/2)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصححه الحاكم في المستدرك، (562/2) برقم (3842)، (3963) وقال حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

94- البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق: محمد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، (396/1) برقم (503).

95- ابن القيم، الوابل الصيب، تحقيق، إياد القيسي، مكتبة الرشد، الرياض، ط الثالثة، (ص89)، وينظر: ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: علي الحلبي، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية ط 1،(103/1).

96- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق،(2060/4).

97- ينظر: ابن القيم، مدارج السالكين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، (481/2).

98- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق،(2060/4).

99- ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آيات القرآن، دار الفكر، بيروت، لبنان، د. ط، (1408هـ)، (145/8)، وابن القيم، مدارج السالكين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 2 (1414هـ)، (479/2)، وابن القيم، طريق الهجرتين، تحقيق: أبي حفص بن عمران، دار الحديث، القاهرة، مصر، د. ط،(ص57).

100- السعدي، تيسير الكريم الرحمن، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، السعودية، ط 1404هـ، (108/4).

101- ينظر: عبد الحميد مرسي، سلسلة دراسات إسلامية (النفس المطمئنة)، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط 1، 1403هـ، (ص20).

102- ينظر: المصدر السابق، (ص21).

103- المصدر السابق، (ص21).

104- ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، د. ط، (ج213/23).

105- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 7، 1391هـ، (ج7، 138، 139).

106- ابن القيم، مدارج السالكين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1983م(497/1).

107- المصدر السابق، دار الكتب العلمية، (452/1).

108- ينظر: ابن القيم، الفوائد، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط 7، 1986م، (ص91، 92).

109- ابن القيم، مدارج السالكين، دار الكتب العلمية، (172/3).

